

رواية

محمد أحمد

بيت المجانين

من وكالة رويترز، بكم



بيت المجانين

محمد أحمد

محمد أحمد

تصميم:

داخلي: مريم محمد

خارجي: عبد الرحمن عبقرينو

رابط إلكتروني: مريم محمد

تدقيق: يمني جاد

فريق العمل:

https://www.facebook.com/groups/Kyan_ShrElRawayat

بيت المجانين

من وكالة رويتر إليكم

رواية لـ

محمد أحمد

كيان سحر الروايات

إهداء

إلى تلك الأم التي تحملت كل ما يصعب حمله على
غيرها

تلك الأم التي نجحت في كل الاختبارات المستحيلة

تلك الكل والجميع

تلك بركة كل شيء

إلى كل أم لم تجد من يحنوا عليها أنا هنا يا أمي وإن

كنت أصغر مني عمرًا

لا يهم فالجنة تحت أقدامك بكل الأحوال

مقدمة

البيوت لا تُبنى بالأعمدة ، البيوت تُبنى بالحب
والمودة وبعض الصدمات.

كاذب من يخبرك بأن الحياة وردية دون مشكلات ،
ولكن تلك المصاعب هي من تشتت بها العلاقات إن
كانت صادقة ؛ فكثيراً ما كان الحب زائفاً أو كاذباً أو
مجرد وسيلة لإكمال ما قارب على الضياع أو حب
صادق غير معن للبعض لأي سبب.

سأعرفكم ببيتي الذي لا أسكن به ، نعم أنا التي يقال

عنها حشرية وأنا أعلم ذلك ، لا أعلم لماذا

سميتموني كذلك ولكني أسمع همسكم ، هل ذلك

لأنني أتدخل فيما لا يعني بي بيت ليس به أحد أقاربي؟

أليس من حقي أن أعرف ما يدور عند أقرب
 جيرانني؟ أليس من حقي أن أعرف سبب فرحهم
 وحزنهم؟ لا أعلم لماذا تتغير وجوههم حين أطرق
 بابهم لأسأل عن سبب تلك الأصوات إن كانت حزن
 أو فرح!

حقيقة أسرارهم في أيدي أمينة و لا يعرفها أحد غيرنا
 ، لأكون صديقة هي فقط جارتني "أم مبروك" التي
 تنتظر مني كل ما هو جديد ، فالشغف قادر على أن
 يقتل كلينا خصوصاً الفراغ الذي استولى علينا بعد
 وفاة أزواجنا وانشغال أولادنا كلٌ بدنيته ، ذلك البيت
 الذي أسميناه أنا وأم مبروك بيت المجانين.

نسيت أن أخبركم باسمي ، أنا عارفة ، نعم اسمي
 عارفة..

الفصل الأول

نجاح إيمان

الساعة السابعة صباحًا ، استيقظت مبكرًا كعادتي ،
 صليت فرضي وأعددت فطوري وأنا أعيش ذكرياتي
 القديمة عندما أدرت محطة الراديو المفضلة لأغيتي
 المفضلة " يا صباح الخير يا اللي معانا " منذ أنهيت
 سنوات عملي مبكرًا كمدرسة لظروف صحية وأعيش
 أنا والحوائط فقط على تلك الذكريات المعلقة بمخيلتي
 والبقية مُترسخة ببعض الصور على الحائط.

سمعت ذلك اليوم صوت تهليل بالفرحة من اتجاه
شقة "أم محمود" جارتني ، تلك الشقة التي تبعد عني
بعض الخطوات وتتقابل إحدى شبابيكنا بإحدى
النواحي من المنزل ، ولكن ذلك الشباك كان مغلقاً
يخرج الصوت فقط دون صورة.

نعم هي فرحة منتظرة واليوم هو يوم إعلان نتيجة
الثانوية العامة ، ولكن أليس الوقت مازال باكراً ؟
التفحت خماري وهرولت أسابق خطواتي إلى هناك
طارقة بابهم لأبارك لهم على نجاحها ،

نعم فأنا متأكدة أنها ناجحة دون أن أسأل ، فكانت
دون أخواتها متفوقة طول مدة تعليمها على مدى
الأثني عشر عاماً السابقة ، حتى أنها دائماً ما كانت
تسبق ابنتي "يسر" بالدرجات على الرغم من

اعتمادها على نفسها دون أن تأخذ أي دروس
مساعدة على غرار ابنتي التي خرجت من تعليمها
مبكراً للزواج.

بعد أن فتحت "مروة" الأخت الصغرى ذات الأثني
عشر عامًا باب الشقة تبذلت ملامحها..

مروة: اتفضلي يا خالتي أم خالد.

أدخلت رأسي أولاً من الباب قبل جسدي أتفحص
يمينًا ويسارًا مصدر الصوت وسألتها:

- هو فيه أيه يا حبيبتي؟ سمعت زغاريط جاية من
عندكم ، اوعي تقوليلي إيمان اتخطبت وهتحصل
يسر.

أم محمود من بعيد : اتفضلي يا عارفة ، اتفضلي يا
حبيبتي ، ده إيمان بس جابت المجموع اللي هي
كانت عايزاه عشان تدخل كلية الآثار ، خطوبة أيه
بس؟

-ألف ألف مبروك يا حبيبتي ربنا يسعدك أنتِ طول
عمرِك شاطرة ، مش يسر الخايبة اللي لا نافعة لا في
تعليم ولا جواز أصلها يا أختي عاملة مشاكل مع
جوزه.....

أم محمود قاطعتني : هاتي الحلو لخالتك يا إيمان ،
حلاوة نجاحك ، لا يا حبيبتي خطوبة أيه وجواز أيه
دلوقتي أنتِ ست العارفين إن التعلم أولاً ما أنتِ كنتِ
مُدرسة ، هي تخلص تعليمها الأول بعدين موضوع
الجواز ده بعدين لما يجيلها ابن الحلال.

-آه يا أختي هم اللي إتجوزوا خدوا أيه يعني ، ألا
أبو محمود فين آمال يفرح معانا وكده.

أم محمود : في الشغل يا حبيبتي وبلغناه بالتليفون.

إيمان : اتفضلي يا خالتي أم خالد.

أمسكت بالحلويات وانهمكت بأكلها فلا أعرف من أين
أتوا بتلك الحلويات اللذيذة، حظهم جيد في كل شيء
، آخر مرة اشتريت حلويات لم تكن بتلك الجودة ، لا
أعرف لماذا ينظرون إليّ بتلك الطريقة وأنا أكل.

-أنا همشي بقى عشان ورايا شغل كتير في البيت

عشان شقتي تبقى حلوة زي شقتكم كده ، مش

عارفة يا أختي رغم إن محدش بيجيني بس الشقة

بتبهدل ليه ، ما علينا اتصبحوا بالخير.

تركتهم وعدت فرحة إلى شقتي وبعدها بدقائق
سمعت صوت طرقات معتادة على بابي ، نعم، قبل أن
أفتح هي أم مبروك..

أم مبروك : أيه يا حبيبتي عاملة أيه ، ألا أنا سمعت
صوت زغاريط جاي من عند حبايبك.

-هو مفيش حاجة بتعدي عليكِ أبدًا ؟ مفيش صباح
الخير الأول ؟ أيوة إيمان نجحت.

أم مبروك : وعرفتِ أيه تاني مفيش حاجة كده ..
حاجة كده؟ متأخذنيش يا أختي صباح الخير عليكِ.

-طب ادخلي استريحي الأول بدل ما أحنا بنتكلم على
الباب كده وحد يسمعنا.

أدخلت أم مبروك كعادة كل يوم وَضَافَتَهَا وَبَدَهْنَا فِي
السمر.

أم مبروك : ها ها قوليلي أيه الجديد ؟

-الست أم محمود يا أختي شقتها دايمًا متروقة
ونضيفة ولا أكن عندها عيال زينا وجاية سجاد جديد
وأنترية جديد تقولشي بتجهز شقة عروسة.

أم مبروك : هي ست واعية من زمان كفاية إنها
محاجية على جوزها ولا بيبص برا ولا جوا زي باقي
الرجالة.

-شوفي أنا بكلمك في أيه وأنتِ بتكلميني في أيه ،
أنتِ حنيت للجواز تاني يا أختي؟ طب جوزي ابنك
اللي بقى عريس ده الأول.

أم مبروك : هو يجوز نفسه يا أختي مبقاش صغير ،
 أنا بكلمك على أبو محمود إن دايمًا كده شكله حلو
 ومش باين عليه السن ودائمًا وشه مبتسم ، طب ده
 حتى مرة وأنا واقفة في الشباك بص...

قاطعتها قائلة : شباك أيه اسكتي هنجيب للراجل
 مصيبة ما هو بيضحك لكل مش أنتِ بس كفاية
 سيرة الراجل بقى.

أم مبروك : أيوه يا أختي كفاية كلام لأحسن نكون
 بنجيب سيرة الناس ولا حاجة ويكون حرام ، خلىنا
 في نفسنا أحسن.

-أحسن برضو ، كل يوم تقولي كده وأهو الاقيكي
 شوية وبتجيبى سيرتهم برضو.

أم مبروك : لا يا حبيبتي خلاص ، ألا قوليلي بنتك
يسر عاملة أيه مع جوزها.

-لأ نجيب سيرة الناس أحسن يا فوزية ، ولا أقولك
روحي حضري الغداء لمبروك عشان تعبانة شوية
وعايزة أرتاح.

أم مبروك : ماشي يا حبيبتي شوية كده وهبقي
أجيلك تاني نتغدى سوا، هو أنا لي ونيس غيرك.
تركنتي أم مبروك وذهبت بعدها بدقائق وجدتها
تكلمني على الهاتف المحمول لتخبرني أنها رأت أبو
محمود قادم من العمل وكأن شيء ما أصابه ؛
فملا بسه متسخة وسرواله ممزق من عند إحدى
ركبتيه ويعرج برجله اليمني وتريد مني أن أدخل
لأطمئن على حاله لأنها لا تستطيع ذلك؛ فهناك

مشكلات قديمة بينها وبين أم محمود لأن أبو محمود
قد تقدم لخطبتها قديمًا قبل أن يتزوج بأم محمود
ولكن النصيب أصبح حائلًا بينهما لذلك تهتم بسيرته
وأنا أحاول أن أبعداها حتى بالكلام عنه حتى لا يصل
الكلام إلى أم محمود وتسعى لخراب المنزل.

أغلقت معها الهاتف وبعد أن ارتحت قليلًا نظرت ما
إذا كان شباك غرفة نومهم المطل على شباكي مفتوح
أم مغلق؛ لأعرف ما حدث له دون أن اذهب.

حقيقةً لم أرد الذهاب لأن ركبتى تؤلمني وليس لأتني
كنت هناك منذ قليل ، فهم يحبونني كثيرًا ويسعدون
بمضايفتي.

وجدت أن الشباك مغلق كما كان منذ قليل فأخذتني
قدمي وشغفي إلى هناك ، لا أعرف لماذا نسيت ألم
ركبتي وكأنها تريد أن تعرف ما حدث قبلي.

طرقت الباب الذي أشعر أنه كلّ من طرقاتي ، فتحت
لي أم محمود مقفرة الوجه وبالتأكيد ليس من رؤيتي
بل لما حدث لزوجها.

أم محمود : أيه يا عارفة نسيت حاجة ولا أيه ؟
- لا يا حبيبتي أصل شوفت من الشباك أبو محمود
جاي وشكله تعبان فقولت اتظمن.

نظرت لي نظرة وكأنني أنا من فعلت به ذلك ، وقالت
لي أم محمود بتهكم : مش عارفة يا أختي مين اللي
باصصله ، اتفضلي ادخلي الأول ميصحش نتكلم على
الباب ، من يومين جسمه يسخن فجأة بالليل وقبلها

بيومين يجيله جزاء فالشغل لأن الأتوبيس أخره ،
والنهارده وقع من الأتوبيس وهو رايح ، عايزين
ندبحله حاجة.

-لا يا حبيبتي ألف لا بأس عليه ، إن شاء الله يقوم
بالسلامة يكونش عليه ندر ولا حاجة ؟

لم أستطع الحديث بتلقائية مع أم محمود وكانت تتم
مقاطعتي كل دقيقتين عندما تتصل أم مبروك بهاتفي
، بالتأكد لتطمئن عليه وأغلق المكالمة بوجهها ولا
تتوقف عن ذلك حتى أغلقت الهاتف تمامًا..

أم محمود : لا يا أختي ندر أيه أنت ست متعلمة ،
تشربي أيه يا عارفة ؟

-لا ولا حاجة ما أنا لسه شاربة هي شغلانة أنا جيت
بس اتطمئن على سي أيمن وماشية على طول.

أم محمود : لا اطمني يا حبيبتي إن شاء الله هيكون
كويس استاذنك أنا عشان أغير له هدومه.

-لا لا يا حبيبتي اتفضلي الله يقويكي عليه وأنا هقوم
وهبقى أجيله لما يستريح.

تركته ذهبت لتعتني بزوجه لأجد أم مبروك تجلس
على الدرج العلوي من شقتي تنتظرني فهي تقطن
بالدور العلوي لنا ، دلفنا إلى شقتي ونحن ننظر
حولنا ألا يرانا أحدهم كمن سرق صندوق المسجد..

أم مبروك متسرعة : خير خير فيه أيه قلقتيني.

-مش تبطلي سيرة الراجل بقى الراجل وقع من
الاتوبييس وكان هيموت.

لمحت الخوف بعينها بعد أن شهقت بصوت عالٍ
وضربت بيدها اليمنى على السلسلة المعلقة على
صدرها من الخوف وقالت : يموت ؟ بعد الشر يا
أختي ربنا يخليه ليّ ، أأ قصدي لعياله.

نظرت إليها بتعجبٍ وهزرت وجهي يمينًا ويسارًا
وضربت يديّ ببعضهما..

-مفيش فايدة ، المهم مش ناوية تصالحي أم محمود
عشان تدخلني وتخرجني براحتك؟

أم مبروك : أنا نفسي يا أختي والله بس مبشتوفيش
هي بتبصلي أزاي تقوليش هخطف جوزها.

-لا والله ، مش عارفة ليه هي حساكي عايزة
تخطفي جوزها ، حد يقول لواحدة يوم نجاح ابنها
جوزك قمر يا أختي ، ده أحنا حتى عايزين نجوزوه

التانية ؟ ما ليها حق متكلمكيش تاني وهي عارفة
اللي كان بينكم زمان.

أم مبروك : ماهو اللي قمر وعيونه خضرا أنا عارفة
كان عقلي فين لما رفضته واتجوزت الله يرحمه ،
وبعدين هو أيه اللي كان بينا زمان يعني ، ده هو
اللي كان هيموت على.

-أه أه واضح طبعا ، فوزية ... الراجل يا ماما كان
هيموت خفي بقى سيرته.

أحسست بحزن في عينيها لشعورها بالذنب أنها
السبب بذلك ، بعد أن طقطقت رأسها خجلاً:

-يا حبيبتي مش قصدي ، أحنأ لما بنتكلم عليهم
بنتكلم كجيران ، لكن الراجل مش خالي عشان نتكلم
عليه ومتاز علش مني أنتِ داخلة على الخمسين يعني

المفروض تبصي لنفسك بقى وتشيلي الموضوع ده
من دماغك ، وتنسي .. انسي يا فوزية مبقاش ينفع.

أم مبروك : موضوع أيه يا عارفة؟ هو أنا بتاعت
مواضيع أنتِ هتجيبيلي تهمة يا أختي ولا أيه؟ اوعي
تقولي كدة قدام حد تثبتي كلامها على إني ببص
لجوزها في الرايحة والجاية.

هو أينعم أنا ببص لجوزها في الرايحة والجاية بس
مش عشان أخطفه منها يعني ، دي .. دي مجرد
صدفة وهو راجع من شغله كل يوم الساعة ثلاثة
العصر ، ياكش هو النهارده اللي رجع بدري شوية
عن ميعاده عشان اللي حصله ده وتقوليلي مركزة
معاه ولا معرفش أيه.

وبعدين اللي كان بينا زمان كان قدام الناس كلها وهو
 اتقدملي ومكنش فجيبه حاجة وابن خالتي كان مرتاح
 ، وأنا كنت هختار الغلب ليه يعني مش كفاية اللي كنا
 عايشين فيه ؟

كنت صغيرة يا أختي وملقتش حد ينصحنى وأبويا الله
 يرحمه كل اللي كان عليه اللي يريحك يا حبيبتى ،
 مش هغصب عليك يا حبيبتى ، أنا عارفة يا أختي أيه
 الأبهات الديموقراطية ديه؟

أمال فين اللي بنشوفوا فالافلام وأبوها يغصب عليها
 ، أهو الراجل حاله اتغير على أيد الشملولة مراته
 تقولي سحراله.

-سحراله أيه يا ست هو الراجل عمل اللي عليه
واتقدمك عايزاه يعمل أيه تاني؟! وبعدين تسمعي
عن حاجة اسمها النصيب ؟

أم مبروك : أيوه يا حبيبتى أسمع طبعًا وأسمع عن
الحظ برضو.

-شوف الست أقولها نصيب تقولي حظ ، بقولك أيه
، لو هتقبلي نصيحتي شيلي الموضوع ده من دماغك
الراجل عايش وسط بيته وعياله مش هينوبك أنتِ
بس غير التفكير وتعلقي نفسك بحبال دايرة ولو
يهمك أمره زي ما أنا عارفة متفتحيش الموضوع ده
تاني.

أم مبروك : مش عارفة يا عارفة أنتِ خايفة ليه ؟
هو أنا يعني هدخل عليهم من العتبة أكسر الرقبة

وأخذوا من أيده وأقوله تعالى نتجوز ؟ خلاص بقى
فضيناها سيرة وهسمع كلامك المرة ديه عشان بحبك

■

-أما نشوف لأحسن دي المرة مش فاكدة كام اللي
تقوليلي كده.

أم مبروك : لا المرة ديه آخر مرة ، هقوم أصلي
الضهر بقى عايزه حاجة ؟

-لا يا حبيبتي تسلمي وأبقي ادعيلي هه ادعيلي أنا
وأنتِ وبتصلي ؟

تركنتي أم مبروك وذهبت ، أنا أعلم أنها لن تترك
ذلك الموضوع وقلبي يخبرني بأن هناك مشكلة تُطبخ
على نارٍ هادئة بسبب تفكيرها المستمر به.

مر اليوم وقضيت الليل أتسامر أنا وابنتي بالهاتف
حتى قبيل منتصف الليل نتكلم في كل شيء، وكيف
لها بكل تلك المشاكل لا أعلم لماذا؟ ماذا ينقصها عن
أي زوجة أخرى؟

رضينا بحكم الله ، وحقيقة .. كثيرا ما أراها هي
السبب بأغلب تلك المشاكل؛ لأنها مازالت صغيرة، لا
أعلم أين كان عقلي عندما وافقت على زواجها بذلك
العمر ، والله لا رغبة في المال ولكن خوفي الدائم
من أن أموت وأتركها وحدها ، فأخيها مشغول
بحياته وبيته حتى لا يكلمني إلا مرتين بالأسبوع
وأحيانا لا أحصل عليهم ، لذلك وافقت على زواجها
من ذلك الرجل الذي يكبرها بأثني عشر عامًا.

مللت من حياتي صباحًا ؛ لا أجد ما يسليني سوى
الذهاب عند جيراني وكتابة مذكرات يومي، وليلاً لا
ينقطع التفكير بكل ما أعيشه وكأني أحاسب نفسي
على أشياء أفعلها رغماً عني ، يراودني كثيراً شعور
الموت وحيدة ، أخاف أن لا يراني أحد وأنا ألفظ
أنفاسي الأخيرة ، قرأت مقولة قديمة لا أتذكر قائلها
تقول:

"وتبقى لبعض الأماكن ذكريات تهمس لنا بهدوء
قائلة: لقد كانوا هنا يوماً، ورحلوا" ..

دائماً ما أكتبها كل يوم بمقدمة ذكرياتي اليومية عسى
أن أموت وحدي فأكتب بعدها لأولادي أرجوكم لا
تتركوني وحدي ، أعلم أن تلك سنة الحياة ولكن أي
حياة بدونكم تُسمى حياة؟! فأنتم الحياة بالنسبة لي ،

أنتم من أعيش من أجلهم إلى أن يفرغ عداد عمري
ويفني ، فليس عندي أغلى منكم.

لن أكذب أنني أعلم ما يقوله الناس عني ولكن إن
صادفت وأحدهم حكى لهم عن تلك المذكرات فأعلموا
أنني لست بهذا السوء وليس المهم ما يُقال أمامكم
الأهم ما يُقال عنكم من وراءكم ، تدخل في حياتكم
ليس إلا وحدة قاتلة ، سراب ليس له من مرئي ، لا
أول له ولا آخر ، فلن تشعروا بما يشعر به من عاش
وحده ، ذلك السجن سيظل داخل صاحبه فقط إن
كانت الناس كلها تلتف حوله متراصين.

فلتعذروا وحدتي وقلة حيلتي..

الفصل الثاني

الطبع غلاب

وكان قلبي كان يشعر ، مرت ثلاثة أيام قضيتهم
 مريضة بفراشي لا أستطيع حتى أن أخدم نفسي لم
 أجد أي شخص بجانبني ، سوى أم محمود هي من
 قلقت على أو شعرت بأنها استغربت حين تأخرت
 زياراتي لهم والتي لم تحدث من قبل كتلك ، حتى أم

مبروك لم تتصل بالهاتف وكأنها تعرفني لمجرد
حاجة لها.

حين يشتد البأس تعلم من يهتم لأمرك وتعرف من
حَسُنَ أصله وتربيته ، نعم لقد قضيت أول يوم وحدي
وكدت أن أودعهم بما كتبت بمذكراتي ، ثاني يوم من
مرضي وجدت أم محمود تطرق بابي ، تسندت على
حوائطي التي كانت ملازمة لي طوال الوقت وما إن
فتحت الباب خارت قواي وسقطت على الأرض ،
فساعدتني وبعد أن وصلنا لفراشي هرولت إلى
شقتها وأحضرت بعد المستلزمات والعقاقير فكانت
تعمل هي بالقصر العيني لمدة عشرون عامًا
وأعطتني الدواء اللازم لتهدئ حرارتي وأخبرت
ابنتها إيمان أن تُحضر لي طعامًا صحيًا لمقاومة

الميكروب الذي أحتل جسدي الهزيل ، وظلت على هذا الحال لمدة يومين متتاليين حتى أن أبو محمود جاء ليزورني وهو في تلك الحالة المزرية التي بدى عليها.

بعد حوالي الخمس أيام من مرضي رتبت بعض الأمور بحياتي ، وكل إنسان تحسنت رؤيته بعيني ولن يأخذ أحدهم مكانة بعد ذلك غير التي يستحقها.

مرت الأيام وجاءت ابنتي لتزورني بعد أن وقفت على قدمي ، رغبةً مني بذلك حتى لا تحمِل المرض بعدي لأنها كانت حُبليَ بشهرها الرابع ، حتى ابني لم يزرني لأتني لم أخبره وهو لا يتصل من تلقاء نفسه ، أعانه الله على زوجته ، فهو يطيعها بكل شيء

رغم أنني لم أربيه على ذلك فكان كثيرًا ما يشاغب
معي.

هي أم محمود فقط صاحبة الفضل بشفائي بعد الله
وسيبقي ذلك دينًا برقبتي حتى يأذن الله بموعدتي.
اكتمل شفاء الاستاذ أيمن وعاد مجددًا إلى عمله،
عرفت ذلك من الصوت المنبعث من شباك غرفة
نومهم المجاور لشبائي الذي لم يكلّ من ملازمتي له
طوال مدة ترتيب أوراقي بعد مرضي.

رنت الساعة السابعة صباحًا ، أدت الراديو كعادتي
، سمعتهما يتكلمان وكأنهما يتعاتبان على شيء لم
أعلمه من قبل ولم أكن أنوي أن أسمعهما؛ ولكن كان
صوتهما عالٍ هذه المرة على غير عاداتهم ، أطفئت
الراديو حتى تتحسن أسماعي.

أم محمود : مش قولنا يا أيمن الموضوع ده خلاص
مش هنتكلم فيه تاني ؟

أيمن : يا ماجدة أنا قافلته من فتره وأنتِ اللي مش
عايزه تشيليه من راسك مش عارف ليه ،

مش فاهم أصلاً أيه علاقتي بالموضوع ده وبتحمليني
الذنب ، قولتلك عايزه تكلموها روي كلميها ، المهم
تخرجيني من الموضوع ده ومتشغليش دماغي بيّ
بعد كدة كفاية اللي أنا فيه.

أم محمود : عايزني أقولها أيه ، أقولها عايزه
تخربي بيتي ؟ وأنا فأيدي أيه أعمله ومعملتوش ؟

أيمن : قولي اللي تقوليه ، المهم تنهي الموضوع ده
أو متكلمنيش فيه تاني ، كفاية مشاكل مع مديري
في الشغل ، والمصايب اللي بتحصلي يوم والتاني.

أم محمود : أراي عايزني مفكرش في الموضوع يا
أيمن؟ عايزني أعمل نفسي مش واخدة بالي يعني ؟
أنا خايفة عليك وليل نهار بفكر فالموضوع.

أيمن : بقولك أيه ، أنا رايح الشغل ، أقعدي أحسبها
مع نفسك وأبقي قوليلي عملت أيه لما أرجع.

سمعت صوت بابهم يغلق كناية عن ذهاب أبو محمود
إلى عمله.

لم أفكر بأي شيء ولا أي شخص سوى بأم مبروك ،
هل من المعقول أن يكون الكلام عليها وتكون فعلت
أي شيء غير محسوب لاحظته أم محمود؟

قررت خلال الأبام السابقة أنني لن أتدخل في شأنهم
إحترامًا لما قدموه إليّ حتى لو عرفت بالصدفة فلن
تشاركني به أم مبروك، ولكن إن كانت مشتركة بذلك

كيف سأصلح الأمر؟ حتى وإن تدخلت تستطيع أن
تتكر، ومن الجانب الآخر لن أستطع إخبارهم
بسماعي لحديثهم حينها لن يصدقوا بأنها كانت عن
طريق الصدفة ، حينها سأخسرهم للأبد وتلك العائلة
أصبحت عائلتي الوحيدة وسأحتاجهم دومًا، لن أتحمّل
خسارتهم.

تشتت عقلي من التفكير ولم أستطع التفكير ولكني
قررت أن أصنع الكعك وأذهب لهم بحجة أن يتذوقوه
، وإن أرادت ماجدة إخباري فستفعل وإن كان الكلام
عن أم مبروك فلن تجد لها أحدًا غيري.

بالفعل هممت بفعل الكعك وما أن نضج أخذته
مهرولةً ، طارقة على بابهم بخجلٍ ، فلو نطق الباب
لقال لي: توحشتك منذ فترة لم أرك.

فتحت لي إيمان مسلّمة على مرحبة بقدومي ، متمنية
لي دوام الصحة على ما مررت به من أيام مضنية.

أم محمود : مين يا إيمان ؟

-ده أنا يا حبيبتي ، قولت أجي أدوقك الكحك بتاعي ،
عشان تقوليلي رأيك.

أم محمود : اتفضلي يا عارفة استريحي وأنا دقيقة
وجيالك ، اعملي شاي لخالتك يا إيمان وأنا جاية أهو

.

لا أعرف لماذا أحسست أنها كانت تبكي؛ فكان
صوتها مهزوزًا يغلبه الحزن، لم أرها ولكن أحسست
بذلك ، ما علينا، دخلت وجسلت وانتظرت مجيئها
فجاءت قبل الشاي..

أم محمود : منورة يا أختي ، عاملة أية النهارده ؟

-بقيت زي الفل يا حبيبتى الحمد لله وأنا هنسى

وقفتم جنبى ؟

أم محمود : ولا تقولى كده، أحنا جيران وأخوات

وميهونش علينا العيش والملح اللي أكلناه سوا.

-ولاد أصول والله وأنا مديونالكم ، كفاية أبو محمود

جالى رغم تعبته ، ووقف مع الدكتور وكان بينزل

يجيب الطلبات بنفسه ، الله يديه الصحة ويراضيكى

بيه ، إلا هو فين آمال؟ وبقي عامل أية؟

أم محمود : تسلمى يا حبيبتى هو زي الفل الحمد لله ،

حتى نزل الشغل النهارده، ادعيله لأحسن ظروفه

مش ولا بد الفترة ديه.

-لا .. ربنا يكفيكم الشر ، مش هسألك ماله عشان
مبقاش بتدخل فحاجة متخصصينش ، بس أنت عارفة
لو احتجتني حاجة رقبتي.

فكّرت ماجدة قليلاً ثم تكلمت بخجلٍ : بصي يا عارفة
مش هتكسف منك ، من فترة كنت استلقت من واحدة
صاحبتي مبلغ عشان دروس إيمان ومصاريف خالد
وشوية طلبات للبيت ، بس شرطت عليّ أمضي كام
وصل أمانة ، أبو محمود مكنش راضي لحد ما أقنعتة
ومضي مكاني ، وكان معايا يا أختي سلسلة ذهب
قولت أسوأ الظروف أبيعها لو احتجتها ومهنش عليّ
أبيعها عشان من أمي الله يرحمها، والست طلبت
فلوسها والسلسلة يادوب على قد الفلوس ، أو أقل
شوية.

-طب أيه المشكلة ما تديها فلوس السلسلة أو أديها
السلسلة تبيعها ، ويعوض عليك ربنا.

أم محمود : ماهو أنت مش عارفة ، الست دي
للأسف بتدي فلوس بفوايد بحجة إنها بتعمل جمعيات
ولو كانت استثمرت الفلوس دي كانت هتكسب منها
ودلوقتي هي عايزة مكسب عليهم أربعين فالمية ،
وأنا مكنتش قايلة لأبو محمود على حوار الفوايد ده
عشان كان هيرفض وهيقولي حرام وكده ، ولما
خلاص تعبت من كتر اتصالات الست اضطريت أقوله
ومسكني بهدلني إني خبيت عليه وقاللي إن كل اللي
بيحصلنا الفترة اللي فاتت دي بسبب الموضوع ده
وغاصب عليّ اتصرف من غير ما أرجعله، والست

راسها والفلوس تيجي كاملة آخر الأسبوع يا إما

هتحبسه ، وأنا مش عارفة أعمل أيه؟!!

فكرت قليلاً كيف أساعدهم وأرد معروفهم ثم أخبرتها

في خجل ولو إني لا أملك إلا معاشي الشهري:

-هو كام المبلغ ده يا أم محمود ؟

أم محمود : كنت واخدة منها عشر آلاف وهي عايزة

عليه أربعة والسلسلة مش عارفة هتجيب تمن

العشرة أصلاً ولا لا ؟

-الموضوع بسيط متشيليش هم من هنا للأسبوع

الجاي يحلها ربنا.

ذرفت أم محمود دموع الحسرة على حال زوجها

وهي تعلم أنه محق في كل كلمة قالها وليس له ذنب

بذلك ، كانت تتمتع وهي تبكي بأنه لم يكن يرغب من
الأساس بأخذ المال وقال لها أن إيمان تستطيع
النجاح دون مساعدة ومحمود يستطيع مساعدة حتى
وإن اضطر هو نفسه بأن يعمل مناوبة ليلية.

لم أشعر بنفسي إلا وقد احتضنتها وأنا أبكي وسط
أنظار بناتها إيمان ومروة، هدهت من رهبتها
وخوفها على زوجها ثم تركتها وذهبت إلى شقتي
وأنا أفكر، لم يترك الموضوع عقلي أو العكس أيهما
أقرب، ولكن في كل الأحوال تغلبت عليّ رغبة رد
الدين ، فأنا بالفعل مديونة لهم بحياتي؛ فلا أحد
لازمني بأزمتي غيرهم.

حكمة قالتها لي أمي قديماً حين أخبرتني أنني
سأعرف صديقي في الشدة وسأعرف عدوي في

التصالح؛ فالصديق عندما يظل موجوده بالأزمة
حينها كانت صداقته بريئة وصادقة ، وإن كان عدوك
يحمل لك بعض الغلاوة فسيصفح مع أول عتاب وما
دون ذلك فهم أشباه معارف ، رحمك الله يا أمي..

بمجرد وصولي لشقتي وجدت أم مبروك تجلس
كعادتها على الدرج العلوي لشقتي، وحقيقة قلبي
يحمل ما يحمل لها ولا يستطيع نسيان هروبها بأزمتي
ولا أعرف كيف سأعاملها ، لو لم تكن تجلس كعادتها
بعد أن أخرج من بيتهم لصفحت عنها إن أخبرتي
أي شيء ولكن معني أنها تجلس الآن فكانت تراقبني
كردار مثبت على شقتينا.

أم مبروك : أيه يا حبيبي عامله أيه ؟

-أيه ده أنت رجعت من السفر أمتي ؟

أم مبروك : سفر ؟ سفر أيه و مين قالك إني كنت
مسافرة ؟

-لا محدش قاللي أنا بس بقالي كام يوم مشوفتكيش.

أم مبروك : بصي يا عارفة من غير ما ترميلي كلام
أنا عارفة إنك زعلانة مني ، بس أنا كنت نزلالك يوم
ما ماجدة دخلت عندك ولقيتها هي وأيمن داخلين
لمدة يومين أو ثلاثة بعدها فمعرفتش أجيلك
واستغربت زيارتهم ، وأنتِ عارفة إن الأرض
متشيلنيش أنا وست ماجدة دي.

-معاكيش رصيد يا حبيبتى تاخدي فلوس تشحني ؟

أم مبروك : هو أحنأ هفضل نتكلم على الباب كده ،
مش هتقوليلي أدخل ؟

-معلش مشغولة شوية ومش فاضية ، لما أفضى
هكلمك.

أم مبروك : طب قوليلي حتى آخر الأخبار ، قولي ها
ها كنت بتعملي أيه عندهم؟ هم كانوا عندك بيعملوا
أيه ؟

نظرت لها دون أن أتكلم وكأني أتعجب من حالها؛
فمازالت تحركها دنائة شخصيتها ويقودها فضولها ،
حقيقة للأمانة أنا أيضاً كذلك ولكني لست عديمة
الأصل ، لا أعلم من أين يأتي هذا الشعور الداخلي
حين تتحكم غرائزي بمعرفة أخبارهم ، حتى أنني
تضايقت حينما تكلمت مرة أم مبروك عن ابنتي ولم
أرض بما نفعله بهم ، فكرت قليلاً ثم أخبرتها معاتبَةً

.

-عايزة تعرفي كانوا عندي ليه ؟ الناس دي ربنا
بعتهوملي نجدة؛ لأنني كنت تعبانة جدًا ومحدثش وقف
جنبي غيرهم ، والراجل كتر خيرہ جالي في عز تعبہ
ومسابنيش ولا هو ولا عياله.

أم مبروك : أه ما هو ابن أصول الله يخليه لحبايبه ،
أنتِ بتبصيلي كده ليه ؟

-لا أبدًا ولا حاجة ، أنا هدخل بقي عشان استريح.
أم مبروك : طب هسيبك بقي عشان تستريحي وهبقى
أجيلك تاني لأحسن أنتِ وحشاني.
-طب ما تيجي تشربي حاجة.

أم مبروك قادمة بعد أن ذهبت : أيه ده بجد هنقعد
ونتكلم ، أنا مش عايزه أشرب حاجة أنا عايزه
أعرف أيه اللي حصل الأيام اللي فاتت.

-أنتِ ما صدقتي يا أختي ، دي كانت عزومة
صيادين كل واحد فيهم في مركب روعي يا أختي
روعي.

تركنتي أم مبروك ولا أعلم لماذا تحدثت معها هكذا ،
نعم أنا حزينة لأنها لم تكن بجانبني وكانت زيارتها
دائمة لي إلا وقت احتياجي لها؛ هكذا بعض البشر
يوهمونك بالقرب وبأول أزمة كالضباب يتلاشى بعد
أن اعتدت رؤيته.

لم يترك موضوع ماجدة عقلي ولا أعرف كيف سأدير
حل المشكلة ولو أنني لا أملك المال ،

حاولت الاتصال ببعض المعارف ولكن لكل شخص احتياجاته ولهم عذرهم ، ولم يهمني أنني لم أطلب المال من أي شخص قبلاً ، ولكن إن لم أضحى الآن فمتى تكون التضحية؟

أخرجت صندوق مجوهراتي القديمة الذي وصيت ابنتي عليه بأنه إن حدث لي شيء فسيكون ساتراً لها ولأخيها ولدفتني ، فهكذا وصيتي أمي حين أخبرتني أن أكرم مثواها الأخير ومن مالها الخاص وهكذا كنت أنوي ، حقيقة بكيت وحدي ليس على المصوغات ولكن على وصيتي التي إن حدث لي شيء فلن يستطع أولادي تنفيذها ، ولكن اليوم بحال وغداً يدبرها رب الأحوال فالعمر ليس بيد أحد ولا أحد يعلم خاتمته كيف ومتى.

هرولت إلى شقة أم محمود لأخبرها أنه قد تم حل مشكلتها ، أغلقت شقتي وطرت بالرواق المتوسط شقتينا وقد سقط الصندوق من يدي وتناثرت المجوهرات على الأرض.

نظرت حولي وتخيلت بأن أم مبروك وكأنها كانت تنظر من الشباك، حقيقةً لم أرَ وجهها لكنني رأيت يدها وهي تغلق الشباك لتقنعني أن الشباك كان مغلق

.

لملمت أشيائي وقصدت شقة أم محمود وقبل أن اطرُق بابهم وجدت الباب يُفتح وحده لأجد أم محمود هي من تقف أمامي وعلى وجهها ابتسامة قد هونت حزن اليوم كله وقبل أن أسألها عن سبب تلك الابتسامة بادرت هي بالكلام.

أم محمود : عمرك أطول من عمري يا عارفة أنا
كنت جيالك.

-العمر كله ليك يا حلوة أنتِ ياللي ضحكك حلوة ،
قوليلي كنتِ عايزاني في أيه؟

أم محمود : اتفضلي ادخلي طيب.

دخلت فجلست وانتظرت حتى تبدأ هي بالكلام
وابتسامتها لم تفارق وجهها البشوش ، حقيقة فأيمن
كان محظوظ بتلك المرأة ، كانت ماجدة امرأة جميلة
من يوم أن عرفتها ، وحين ابتسمت ارتسمت الأنوار
بعينيها ، فالفرحة تنير الوجوه وخصوصاً لو كانت
ماجدة ، اللحظة تخيلت لو تبدلت الأدوار وكانت أم
مبروك هي من تجلس معي ، هل كنت سأعرض
عليها كل ما أملك ؟

تدخلت السيناريوهات بعقلي كالشريط، مر بلحظاتٍ
حتى قاطعتني أم محمود..

أم محمود : أنا كنت جياك عشان أقولك وشك حلو
، وقدرت أقنع أيمن يكلم الست دي في حوار الفلوس
الزيادة وفعلاً مش هتاخذها.

-أيه ده ازاي ؟ ووافقت على طول كدة ؟

أم محمود : مش عارفة يا أختي أقنعها ازاي وهي
طول عمرها بتشتغل بالطريقة دي ، لقيتها بتتصل بيّ
وبتقولي حرام وحلال ومش هاخذ غير اللي استلفتيه
بس وربنا يعوضني وقعدنا نتكلم كثير.

-سبحان مقلب القلوب ومغير الأحوال ، شوفي

الصباح كنا في أيه ودلوقتي حصل أيه.

أم محمود : مش قادرة أقولك يا عارفة أنا فرحانة
أزاي ، فرحانة أوي.

-ربنا يفرحك دايماً يا حبيبتي وتشوفي أولادك دايماً
بخير ويظمنك عليهم.

أم محمود : يارب أنا وأنت يا حبيبتي ، هي أيه العلبة
اللي فايدك دي ؟

-والله يا ماجدة أنا مكسوفة منك ، بس يا أختي لو
مسندناش بعض وقت الشدة هنظهر حق الجيرة أزاي
؟ دي علبة الذهب بتاعة أُمي وصتني عليها تسترني
في دفنتي بعد ما أخذت منها اللي فيه النصيب
وأكرمت مثواها ، متغلاش عليك في ضيقتك كنت
جيبها لك قبل ما أعرف إن المشكلة اتحلت ولسه عند

رأيي عشان متقوليش إني ما صدقت إنها اتحلت ،
 العلبة وصاحببتها تحت أمرك لحد ما يحلها ربنا .
 أم محمود دون أن ترد على قامت باحتضاني وقبلت
 رأسي وأنا أكبرها بعض السنوات وقالت لي : مش
 عارفة أقولك أيه بس يبقى ربنا حلها من غير ما أبيع
 دهبي أقوم أخذ دهبك ؟
 ربنا مايوقعك في ضيقة أبدًا ومتزعليش مني ، أنا
 مكونتش شايفاكى كدة قبل كدة سامحيني .
 -مسامحاكي يا ماجدة مهما حصل والله جميلكم أنتم
 اللي فوق راسي وعمري ما هنساه .
 أم محمود : متقوليش كدة يا عارفة ده واجب علينا ،
 تشربي أيه ؟

-ولا حاجة أنا كنت جاية لغرض معين وماشية
وشكلي كدة هرجع بيه تاني الحمد لله.

أم محمود : أيه ؟

-بهزر يا حبيبتي أفوتكم بالخير.

تركته وذهبت عائدة إلى شقتي وكل تفكيري هي أم
مبروك التي أتوقع أنها تجلس على عتبتي الآن بعد
أن رأيتني ورأت ما بجعبتي وأنا قادمة ، فبالتأكيد
سال لعباها وتنتظر نشرة الأخبار المسائية، ولكن
الغريب أنني لم أجدها تجلس على الدرج العلوي
لشقتي وشباكها مغلق ، هل يمكن أن تكون قد نامت
ولم تتجاوز الساعة العاشرة والنصف مساءً؟ أيًا يكن
فقد فعلت خيرًا.

امتطيت سريري أكتب مذكرات يومي كما تعودت
 وآخر مرة نظرت للساعة كانت الثانية عشر منتصف
 الليل قبل أن يغلبني النوم واستيقظ صباحًا والمدونة
 ملقاة بجواري ، في أثناء رنين هاتفي والذي يخبرني
 بتمام الساعة السابعة إلا ربع صباحًا ، بدأت يومي
 كما تعودت دائمًا

ولم يكن عندي اليوم من الخطط لأفعلها فقررت أن
 أذهب لزيارة ابنتي على الظهيرة لأطمئن
 على أحوالها وحملها.

مرت الساعات وقضيت اليوم ابنتي وحين عدت إلى
 منزلي بتمام الساعة السادسة مساءً وعيني على
 شباك أم مبروك المغلق على غير عادته ، تفاجئت
 بخروجها من شقة أم محمود والذهول يزلزل

فصوص عقلي الذي لم يعط إشارة لعيني لتصدق ما
 رآته ، كيف ذلك ؟ كيف يمكن أن يختلط الزيت
 بالماء؟

تقابلت الأعين ولكن على غير عاداتها ما أن رأيتني
 هرولت مسرعة إلى شقتها حتى دون أن تقرأني
 السلام ، ماذا أفعل ! هل أذهب إلى أم محمود لأسألها
 ماذا كانت تفعل هنا تلك المرأة؟ ولكن كيف لو
 أخرجتني ؟ هل أفعل مع أم مبروك كما تفعل معي
 وأذهب لها؟ الفضول استولى على عقلي كالإحتلال
 الغادر ، إذا كانت تنوى إخباري لظلت واقفة حتى
 تخبرني ولم تكن لتهرب مني وكأنها لم تفعل نفس
 الشيء ألف مرة من قبل.

دخلت شقتي والأسئلة تحاوطني كالهواء من كل
 اتجاه حتى أنني كنت أحدث نفسي من كثرتها ، بعد
 حوالي الساعة تفاجئت بطرقات على بابي فتأكدت أن
 أم مبروك جاءت لتمارس هوايتها ، وأخيراً سأعرف
 كل شيء ، هرولت بسرعة إلى بابي لأفتحه وأقتل
 فضولي لأجدها إيمان بنت ماجدة تقف أمام بابي
 ويبدو عليها الحزن ، تركت بيدي ورقة وأنا أسلم
 عليها وكأنها رسالة وذهبت دون حتى أن تخبرني ما
 بها أو من أرسلها ، لم أشعر بنفسي وقد كسرت
 فرحتي بالغربة التي حدثت ولم أشعر بيدي وهي
 تغلق الباب ورائها وما زالت يدي الأخرى تمسك
 بالورقة ، حتى أن لساني انعقد ولم أسألها ما تلك
 الورقة ، يبدو أنني صمت من تلك النظرة التي

ارتسمت على عينيها ، بعد أن أغلقت بابي دخلت
ووجدت كرسيّ المفضل وبدأت النظر إلى الورقة بعد
أن جلست عليه.

وكان مكتوب بها " أنا محرّجة منك ومكونتش
هعرف أقولك كدة فوشك بس أيمن حلف عليّ يمين
إنك ماتدخليش عندي تاني ومن غير ماتعرفي ليه
خلينا جيران بدون شوشرة والناس تسمع صوتنا ،
أرجوك لو لقتيني قدامك في يوم من الأيام حتى
متسلميش عليّ متكسريش حلفان جوزي ، أنا مش
ناسية اللي عملتيه معايا ولا أنا هنسالك الحلو ولا
الوحش" .

نزلت تلك الكلمات كالصاعقة على أنظاري، قرأتها
بعقلي حتى دون نطق حروفها، لم أتوانى في أن
أطبق الورقة واحتفظت بها في مدونتي وأنا أسأل
نفسي ماذا فعلت لكل هذا ؟

أين ومتى حدث هل قبل زيارتي لها بالمجوهرات ؟ أم
بعد خروج أم مبروك من عندها؟

حتى الآن لا أصدق أن أم مبروك خطت بقدميها داخل
شقتهم.

كثرت الأسئلة والإجابة واحدة هي الورقة التي بيدي
، هي الحقيقة المؤكدة الوحيدة التي رأتها عيني.

لا أعلم ماذا أفعل الوقت تأخر على أن اتصل بأم
مبروك لأسئله ، ولكن عليّ الصبر ستأتي وحدها ،
سأدع الأيام تفعل ما تشاء وستطب نفسي بما حكمت

ولكن هنا سيصبح صبري على نفسي أصعب من
صبر الناس عليّ وسأعيش سجيناً فضولي كل تلك
الأيام .

الفصل الثالث

لا تأمن لخائن

مر يومين بعد تلك الرسالة التي زادت من وحدتي ،
ولكني صبرت ؛ فالصبر عند المصائب يُسمّى إيمان.

انشغلت ببيتي وكان قد زارني أولادي خالد و يسر
لقضاء بعض الأيام معي.

حقيقة أنا من طلبت منهم ذلك ، فلم اعتد تلك الوحدة
وقد ارتفع ضغطي من كثرة التفكير أنني مريضة فقط

، ولكن مر اليومان كما لم تمر أيامي من قبل ،
اكتشفت خلال اليومين أنني كنت مقصرة بحق نفسي
وأولادي ويرجع السبب لقضاء معظم الوقت بين أم
مبروك وشقة ماجدة لتبادل الأخبار.

سألت نفسي سؤال ، لماذا لم تعرض عليّ أم مبروك
من قبل أن أصعد شقتها كما كنت أفعل معها؟ ولم أجد
سوى تفسير واحد ، هو نفس السبب الذي عندما
منعتها من الحديث عن ابنتي حين كانت تنوي ، فمن
يثرثر لك سوف يأتي وقت ويثرثر عليك وأكثر الناس
خوفاً من الخوض في سيرتها هي الناس التي تلوك
سير الناس بين أسنتها.

تمنيت حينها لو لم تكن تلك العادة تتملك من غرائزي
ولكن حقيقة لم أنظر يوماً لشيء ما بيد أحد كما تفعل

أم مبروك دائماً للنظر لأبو محمود وتتمناه ، مجرد
سد خانة الفراغ التي جنى عليها الزمن وزاد
محيطها.

جلست الليل أكتب كل ما بقلبي ولن يعلمه سوى الله
حتى قاطعتني ابنتي التي طرقت على الباب قبل أن
تدخل:

يسر : أيه ياماما لسه صاحية ؟

-آه يا حبيبتي أيه حاسة بتعب ولا حاجة ؟

يسر : وهو فيه حامل مش حاسة بتعب يعني ، بس

لا ياستي مجاليش نوم قولت أجي أشوفك لو صاحية
نتكلم شوية.

-تعالى يا حبيبتي استريحي ، خير أياه اللي شاغل
بالك ؟

يسر : مش عارفة حساكي متغيرة كدة ، زعلانة باين
، حاجة شاغلة دماغك .

-طمنيني أنتِ عليكِ الأول وسيبك مني ، لما كنت
عندك من كام يوم حسيت جوزك اتعدل شوية ، بقى
بيتكلم براحة ورجع بدري مش زي ما كنت بتقوليلي
.

يسر : أه والله يا ماما مش عارفة فيه أياه أنا قلبي
مش متظمن ، مش متعودة منه على كده ، بقاله
أسبوع كل ما بطلب منه حاجة بيحببها لي وهو مبتسم
وبقي فعلاً بيرجع بدري وبيعاملني أحسن من الأول .

-تكونش الغراب اللي بتلف عليه حلت عنه ؟ دي
دعوات أمك دي.

يسر : غراب أيه هو أحمد يعرف حد من ورايا ؟
وأنت تعرفي ومش قايلالي ؟

-بصي أهو اسمه أحمد أهو زي جوز رشا بنت عمك
، هم تقريباً كده كل اللي اسمهم أحمد خاينين وتخافي
من محمد وعبد الرحمن برضو.

يسر: بكلمك فأيه وبتكلميني في أيه يا ماما.

-ما الراجل يا حبيبتى بيتعدل في حالتين ، أولهم
يكون ربنا تاب عليه ، ثانيهم يكون يعرف حد على
مراته وبيعاملها كويس عشان خايف يتكشف وفي
الحالتين جوزك متغير للأحسن وده شيء يخوف.

يسر : لا أنا مستبعدة حوار يعرف حد دي لأنني
هعرف ، وكمان هتبصله على أيه يعني ده بكرش
وكمان واخده كل فلوسه.

-يا ستي ربنا يهديه وأنا اكره ؟ كفاية بقى سيرة
الراجل.

يسر : قوليلي يا ماما طمنيني عليك، مالك؟ حساكي
متغيره.

-لا يا حبيبتي متشغليش بالك شوية تعب كده
وهيروحووا لحالهم.

يسر : طب أيه أخبار خالتي أم إيمان والبيت عندهم.

-يسر يا حبيبتي أنت بدأت الموضوع بدري أوي.

يسر : موضوع أيه يا ماما ؟

-لا عادي افكرت حاجة كده، المهم ملناش دعوة
بحد كل واحد في بيته مقفول عليه محدش يعرف
عنه حاجة ، هتستفيدي أيه يعني لما تعرفي أخبارهم

.

يسر : سبحان الله ده أنت من يومين لما كنت عندي
مبطلتيش كلام عليهم ، وعملوا معايا ووقفوا معايا
وحسيتهم أهلي التانيين ودلوقتي بتقوليلي كدة ؟
-أنتِ أيه اللي مصحكي مش عندك مدرسة الصبح ؟
يسر : مدرسة ؟ لا يا ماما بكرة الجمعة ، ثم أنتِ
مخرجاني من التعليم من سنتين أصلاً ، قوليلي قومي
نامي هيبقى شكلها أحلى.

-طب تصبحي على خير يا حبيبتى.

يسر : شغل التطريق ده عارفاه أنا لما مبتعرفيش
تردي ، هدخل أنام ياستي شكرًا وأبقي شوفي مين
هيسمعك تاني.

-بنتي حبيبتي طالعالي ، اققلي النور وراكي.

خرجت ابنتي لتنام بعد أن استطعت الهروب من
سؤالها عن ماجدة وخبأت حزني بالسمر والضحك
حتى لا تلاحظ الجرح الذي لن يشفي حتى أعرف
لماذا أرسلت لي ماجدة ذلك الخطاب.

خلدت إلى النوم مستعدة لانتهاء يوم آخر مر دون
هوية ، قد قاربت عيني على الذهاب بعيدًا بأحلامي
حتى فزعني صوتًا عاليًا قادمًا من الخارج ، يا تري
ما سببه؟ ذهبت لأطمئن على أولادي حتى تخيلت
بشباك ماجدة المقابل لشباكي يظهر منه بعض

النور ومفتوح قليلاً ليخرج بعض الصوت كما كان
 شبكي مفتوح أيضاً بزاوية يصعب رؤيتي منها .
 اطمئننت أن أولادي بخير وكنت قد أخذت عهد على
 نفسي بأنني لن أعرف أخبارهم، حتى إن كانوا
 يجلسون معي سأسأله أذني وذهبت لأكمل ما ضاع من
 نومي وللأسف تملكنتي غريزتي واخترقت الكلمات
 أذني دون أن أمنعها وسمعتها يتعاتبان..
 أم محمود : هو كل يوم يا أيمن ترجع متأخر؟ أنا
 متعودتش منك على كده ، بقالك كام يوم حالك مغير
 حتى مبتقوليش بتروح فين.

أيمن : أقولك ليه ؟ أنتِ هتحاسبينني ، مش عارف
 مين فينا اللي يحاسب مين ، أنتِ الراجل ولا أنا ؟

أم محمود : يا أيمن مش بحاسبك ، هو أنا مش من
حقي أعرف جوزي اللي عيشت معاه أكثر من نص
عمري بيروح فين؟ ما هو لو فيه حاجة مضايكاك من
البيت قولي غيرها.

أيمن : بقولك أيه مش كل يوم الموال ده ، أعمل اللي
أنا عايزه وسيبيني أنام بقى ، وياريت تبقى آخر مرة
نتكلم في الموضوع ده عشان ميبقاش آخر يوم بينا.
أم محمود : هي وصلت لكده يا أيمن؟ بتهددني؟ ربنا
يسامحك ، أنا محدش استحملك قدي بعصبيتك
ونرفزتك ومحدش وقف جمبك قدي لحد ما حالنا بقى
أحسن.

أيمن : أيوه إسطوانة كل يوم اللي حفظتها.

أم محمود : بعد إذنك توديني بكرة عند ماما عايزة أقعد يومين.

أيمن : مبوديش حد بكرة إجازتي عايزة تروحي روعي لوحديك وياريت تاخدي عيالك معاك.

انطفئ الضوء أمامي وهذا الصوت كما لو أنهم أنهوا حديثهم وكان كل الكلام غريباً على مسامعي ، لأول مرة أسمع وأرى أبو محمود يتكلم هكذا ، دائماً ما كنت أحلف بأخلاقه والتزامه واستشعرت من كلامهم أنه تغير للأسوء فكما قالت لي ابنتي منذ قليل أن الزوجة هي الوحيدة التي تستطيع معرفة ما إذا كان زوجها تغير أم ماذا.

أحسست أن كل شيء قد تغير بعد أن رأيت أم مبروك تخرج من عندهم ، انقلبت الدنيا رأساً على عقب

تبدلت كل الأحوال ، لا أعرف ماذا أفعل فأنا في وضع
الآن غير مسموح لي بفعل أي شيء سوى أن التزم
شقتي.

مر الليل مرور العواصف الفكرية وأنا أحسست بظلم
لي ولأم محمود ولا أعرف لماذا ، وبالرغم من
شعوري بأنني لم أفعل شيء ولكن بالتأكيد هناك شيء
خاطئ أريد إصلاحه.

استيقظت صباحًا على رنة هاتفي كالعادة ينبهني
وأحسست أنني لم أنم كفاية لكثرة تفكيري بكل
السيناريوهات الممكنة ، بعد أن صليت فرضي
وأعددت الفطور لي ولأبنائي دقت ساعات الظهيرة
بعدها قررت ابنتي أن تغادر عائدة إلى بيتها وابني

كذلك والذي حتى وهو معي أحسست بأنه بعيد فلم
نتحدث سوى قليلاً.

حين قررت ابنتي الرحيل بعد ابني الذي رحل صباحاً
قررت اغلاق الباب ورائها وحينها تقابلت الأعين
بيني وبين أم محمود ذاهبة بالتأكيد هي وأولادها إلى
والدتها كما سمعت.

شعرت أنها تتهرب بعينيها مني فلم أطل النظر
وأغلقت بابي حين رأيت أم مبروك وكأنها تنظر من
خلف شباكها ولكن كان تركيزها على ماجدة ولم
ترني أشاهدها.

أغلقت بابي ومكثت أدير اشغالي المنزلية ، وأخرجت
شنطة القمامة أمام الباب ليأخذها عامل النظافة بعدها

بساعة تقريبًا ، رأيت أم مبروك تقف أمامي ولكن
تقف أمام شقة ماجدة ، رأيتها من خلفها ولم ترني.
واربت بابي لئلا تراني ، كيف تذهب هناك وماجدة
ليست موجودة بالمنزل؟

تسارعت دقات قلبي وعقلي رافض تصديق الفكرة
التي استولت عليه ، وأخترع تفكيري ألف مبرر إلا
أن يكون هناك خيانة.

تمنيت لو أنني أعرف لماذا تقف هكذا وانتظرت أن
أرى من الفتحة الصغيرة من بابي ، تمنيت لو أن
عيني تكذب وأكون مازلت نائمة ، انتظرت قليلًا حتى
فُتح الباب وكان أبو محمود هو من فتحه ، حمدت الله
كثيرًا أنه أخبرها أن أم محمود ليست بالمنزل حين
طلبت الدخول للحديث معها، ثم أخذت نفسها وذهبت

خالية الوفاض وتم تكذيب ذلك السيناريو السيء ولو
كان كذلك لرأيته تدخل لأنها عرفت أنهم ليسوا
بالمنزل ، إن كان هناك شيء بينهما.

أغلقت بابي تمامًا قبل أن ترني واستغفرت الله كثيرًا
على سوء ظني.

هناك فقط شيء رأيته قبل أن ترحل ، رأيته تعطيه
ورقة وتخبره أن يعطيها لأم محمود حين تأتي ،
وذلك الشيء الغريب في الموضوع ، لم يتكلم أبو
محمود كثيرًا معها بمجرد أن أخذ الورقة وذهبت
بعدها.

لماذا أشغل بالي من الأساس؟ لا دخل لي بذلك،
الأولى أن أهتم بحياتي؛ سُرقت عمره من عاش للناس
دون نفسه.

سيطر على تفكيري أن اتصل بماجدة لأعرف أين هي
لأزورها ، من جانب أطمئن عليها ومن جانب آخر أن
لا أكسر يمين زوجها بالأدخلة الشقة وفي الحقيقة
أردت أن أفهم ما استصعب على عقلي فهمه.

بالفعل اتصلت مرتين ولم أجد إجابة سوى من
محمود ابنها الكبير يخبرني بأنها نائمة وكانت وقتها
الساعة الخامسة مساءً ، لم أشغل بالي والتمست
العتذار لربما نائمة فعلاً وتركت رسالة معه برد
الاتصال منها مرة أخرى عندما تستيقظ ، ثم أغلقت
الهاتف.

هجمت تلك الفكرة على عقلي ولم استطع إزالتها من
تفكيري وتعتبر هي الحل الوحيد ، لما لا أزور أم

مبروك دون موعد؟ إنه غير مقبول ولكن هذا ما أردته وهناك سأعرف كل شيء.

بالفعل لمت نفسي وأخذت طبقًا من الحلوي وصعدت إليها، وقبل ذلك وجدت أن الشباك الخارجي مغلق تمامًا، رأيت حذاء على الباب وبعدها سمعت صوتًا بالداخل قبل أن أطرق الباب ويبدو صوت رجل، لم أميز الكلمات التي قيلت ولكن هذا الصوت ليس غريبًا عليّ، لم أترك نفسي لسوء الظن وحاولت إقناع نفسي بأنه ابنها مبروك ، واستعددت لطرق الباب لتفز عني تلك اليد التي وضعت على كتفي من الخلف ليسقط الطبق من يدي على الأرض ، حاولت الالتفاف خائفة مما سيقال عني من هذا الشخص الذي رأي وأنا أضع أذني على الباب.

بعد أن التفت وجدته مبروك ابنها ، كيف هذا فمن
الذي بالداخل؟ فاجئني مبروك بالحديث وأنا ظهر
عليّ الارتباك..

مبروك : أزيك يا خالتي أم خالد عاملة أيه ؟

-أنا تمام يا حبيبي أنت عامل أيه ؟

مبروك : أنا زي الفل ، واقفة كده ليه يا خالتي ما
تدخلني!

-آه يا حبيبي هدخل طبعاً أنا كنت لسه هخطب قومت
أنت خضتني بقي..

فتحت أم مبروك الباب على صوتنا ولا أعلم تلك
النظرة الغريبة التي اعتلت وجهها لا أعلم هل من
الاستغراب من رؤيتي أم شيء آخر..

أم مبروك : مبروك ؟ أيه اللي جابك دلوقتي ، وأنت
يا عارفة فيه حاجة ولا أيه ؟

مبروك مستغربًا : أيه يا أمي أول مرة تسأليني جاي
بدري ليه؟ ما أنا باجي في أي وقت.

-أبدًا يا حبيبتي بقالي فترة مشوفتكيش وكنت جاية
أدوقك حلوياتي وقابلت مبروك على السلم.

أم مبروك : طب اتفضلي ادخلي يا أختي فيك الخير.
مبروك : هي جزمة مين دي يا ماما ؟

أم مبروك : ها ! جزمة ؟ ولا أعرف يمكن بتاعتك.

مبروك : هتكون بتاعتي وناسيها يعني ؟ يمكن حد
نسيها هنا ، ادخلي ادخلي.

أم مبروك : آه جايز برضو ، ولا أكيد حد نسيها ،

هتكون بتاعت مين يعني ؟

استشعرت في عينها الحرج وأنا ألملم الحلويات

التي سقطت على الأرض وظهر من ثقل

لسانها التوتر وأحسست بأنها تحاول الكذب.

دخلنا وأغلقت الباب خلفنا وأنا أنظر بارحاء الشقة

وكأني انتظر رؤية أحدهم ، لا لا استغفر الله عن

رمي المحصنات فلم أرَ وإن كنت سمعت صوتًا فأذني

هي التي تكذب.

مبروك بعد أن بدل ملابسه وخرج لتحضير الشاي لنا

وبعد أن دخل المطبخ..

مبروك : أيه يا ماما واضح إنك كلتِ من غيري ، يالا
 بالهنا والشفاه هعملكم الشاي وهاكل أنا لوحدي ، ولا
 تاكلي معايا يا خالتي ؟

-ألف هنا يا حبيبي سبقتك ، معلىش بقى الحلويات
 وقعت مني غصب عني.

ترك لنا الشاي واصطحب غذائه معه بغرفته وأغلق
 على نفسه الباب ولم تنطق أمه بأي حرف منذ أن
 جلسنا سوياً.

-أيه يا سيدة بقالك كثير ما بتزورنيش يعني.

أم مبروك : آخر مرة كنت عندك لقيتك بتكلميني من
 ورا ضرسك يا عارفة وحسستيني إني ثقيلة يا أختي

.

- هو أنا عشان قولتلك تعبانة تفهميها كده؟ هو أنا
مينفعش أعتب على أختي عشان كنت تعبانة
ومسألتش عني؟ ده أنا قولت أنتِ اللي هتجديني لو
حصلتي حاجة.

أم مبروك : ما أنا قولتلك اللي فيها وإن الأرض
مبتشلائش أنا واللي اسمها ماجدة دي.
- غريبة مع إني لقيتك خارجة من عندها من يومين
قولت اتصالحوا.

زاغت أم مبروك بعينها عني وسألتني : أمتى ده ؟
- أنتِ شوفتيني ياسيدة متتوهيش الكلام.

أم مبروك وظهرت عليها العصبية : أنا ؟ أبدًا يا
أختي وأنا هدخل عندهم أزاي يعني وأنتِ عارفة إن
بيني وبين الست دي مصانع الحديد والصلب.

-يعني مكونتيش واقفة قدام بابهم النهارده كمان يا
سيدة ؟

أم مبروك : ده أنتِ بتراقبيني بقى ؟!
-من بعض ما عندكم يا حبيبتي.

أم مبروك : حبيبتي أيه ؟ وأنتِ خلّيتِ فيها حبيبتي ؟
قولي عارفة أيه تاني يا عارفة.

-أنا عارفة آه بس مش عارفة حاجة تاني ، اللي
أعرفه إن معاملتهم اتغيرت معايا من ساعة ماشوفتك

خارجة من عندهم ، ونفسي أعرف أيه اللي حصل
غيرهم كده من ناحيتي.

أم مبروك : وأنتِ بتسأليني أنا ليه يا ختي ما
تسألهم هم ، أنتِ مش حبيبتهم.

-تعرفي حاجة عن الورقة يا سيدة ؟

أم مبروك : ها ! ورقة ؟ ورقة أيه يا أختي ولا
شوفت أي ورقة ولا أعرف بتكلمي عن أيه.

-اهدي بس اتوترتي ليه كده؟ قللي معرفش
وخلص.

أم مبروك : أنتِ عايزة أيه يا عارفة دلوقتي؟

-وأنا هعوز أيه يعني؟ فوتك بالعافية.

آه صحيح شقتك حلوة يا أختي ما شاء الله مش زي
ما كنت بتقوليلي.

-حبة رمل في العين يا أختي كان عندنا كتكوت
ومات ، نورتيني يا حبيبتي.

قررت الذهاب إلى شقتي ولم استفد شيئاً من زيارتي
لها سوى أنني رأيت شقتها ، حين فتحت الباب
للخروج لم أجد الحذاء الذي كان أمام الباب قبل
دخولي لتهرب بعينيها عني حين نظرت لها فلم ألبس
خطوتين لأسمع الباب يغلق بشدة ورائي من حفاوة
استقبالي أو ذهابي لا أعلم.

ما أن وصلت إلى شقتي حتى رن هاتفي وكانت
ماجدة هي التي تتصل لم أصدق عيني فدخلت
مسرعة إلى شقتي مجيبة على الهاتف .

-ألو ، أيه يا حبيبتي عامله أيه ؟

أم محمود : أنا بخير يا أختي أنتِ اللي عامله أيه؟
وحشتيني.

-متشوفيش وحش يا ماجدة ، ياكش هي الظروف
بس عارفة إني مقصرة معاكِ في السؤال بس الله
أعلم باللي حاصل.

أم محمود : ونعم بالله ، ربنا اللي يعلم باللي في
القلوب ولو إني مش عارفة سبب اللي حصل أيه.
-عايزة أقعد معاكِ ونتكلم يا حبيبتي ، أجيلك ازاي ؟
أم محمود : غريبة.

-أيه الغريب في إني عايزة أقعد معاكِ وأشوف أنتِ
بتعامليني كدة ليه ومش عايزه تعرفيني ثاني؟!!

أم محمود : أنا ولا أنتِ اللي عايز كد؟

-وأنا هعوز كدة ليه يا ماجدة وأحنا كنا كويسين مع

بعض ، مش أنتِ اللي بعثيلي ورقة مع إيمان

بتقوليلي فيها متدخليش عندي تاني ؟

أم محمود : ورقة أيه أنا مبعتش حاجة ، ده أنتِ اللي

بعثيلي ورقة مع سيدة بتقوليلي إني طمعانة فيك وفي

دهبك ، ثواني بس هو أنتِ بتقولي الورقة اتبعثت مع

إيمان ؟

-أيوة حتى أسأليها ، واللي فهمته منك دلوقتي إن

سيدة لما كانت عندك سابلك ورقة على إني أنا اللي

كتبها.

نحن الاثنان بنفس واحد بنفس الوقت : سيبيدة.

أم محمود : لا ده أنا هأجيب إيمان وأجيك بكره
 وأيمن في الشغل ، كمان عشان أمي متعرفش حاجة.
 -ماشي يا غالية هستناكي.

أغلقت الهاتف وقد تبدلت بعقلي كل المفاهيم وتم
 توزيع الأوراق من الأول وقد اختلفت الموازين ومن
 الواضح أن أم مبروك تلعب لعبة كبيرة ستقع
 بحفرتها قريبًا إن شاء الله.

تسارعت نبضات قلبي وكأني كنت في معركة فكرية
 لم انتصر بها بعد، ولا يجب أن أهُزم بها فلن أكون
 الشريرة برواية أحدهم.

الفصل الرابع

رد المظالم

صدقت ماجدة وعدها وبالفعل جائتني هي وابنتها
 وكانت أخبرتني بأنها تأكدت بأن زوجها بالعمل حين
 اتصلت به ابنته وأكد لها ذلك ، فاطمئنت قبل أن تأتي
 وهي لم تعرف بأنني سمعت حديثهم قبل أن تذهب
 بيوم ، ولكن أخبرتني هي بأول الحديث بأنها ذهبت
 لوالدتها لتريح أعصابها يومين ولكن لم تخبر أيمن
 بأنها قادمة لذلك لا تريده أن يعرف بأنها أتت دون
 أن تخبره ، ولكن في الحقيقة لم أخبرها أن الخوف

ليس من زوجها ، الخوف أن يعرف عن طريق
شخص آخر.

بعد أن ضايفتهما وبدأنا بالحديث ، لم تكن تعرف
إيمان بما في الورقة التي أعطتني إياها وبالطبع لم
تعرف بشأن الورقة التي أخبرتني عنها أمها؛ فكل
منا أخرج ما لديه وأعطاه للآخر، فقرأت ماجدة ما
كان مكتوب بالورقة التي معي وبدى عليها
الاستغراب ، ثم بدأت أنا بقراءة الورقة التي بيدي
"بدون مقدمات ، بعد إذنك من النهارده مش عايزه
أعرفك تاني ، ومتحاوليش تمثلي إنك بتحبيني عشان
أنت طمعانة في دهبى أنت وجوزك مع إن عيشتك
أحسن من عيشتي بأماراة السجاد الجديد اللي أنت
جايباه ومش عندي زيه" .

أم محمود : تعرفي أيه عن الورقة دي يا إيمان ؟

أمسكت إيمان بالورقة وقرأت ما بها ثم أخبرتها :

معرفش حاجة يا ماما أول مرة أشوفها.

أم محمود : طب هي خالتك أم مبروك أديتك ورقة

قالتك أديها لخالتك أم خالد ؟

إيمان : أيوة يا ماما من كام يوم مش فاكراه أمتي

كنت خارجة زعلانة عشان كنا بنتصل ببابا

ومبيردش وكنا قلقانين عليه وقفنتي وقالتلي خبطي

على خالتك عارفة وأديها الورقة دي عشان

مستعجلة وسابتهالي ومشيت بسرعة.

أم محمود أمسكت بالورقة التي بيد عارفة وطابقت

الورقتين وكانوا تقريبا بنفس خط الكتابة.

أم محمود : اليوم ده يا عارفة لقيتها بتخبط عليّ ،
ولما فتحت مروة الباب مصدقتش وهي بتقول
خالتي أم مبروك ، دخلت وعملت فيها مكسوفة حتى
مشيت بسرعة مكملتش عشر دقائق وعينها دايرة
رايحة جاية في الشقة ولا كأنها بتعاين وهتشتريها ،
وقالتلي أنا جاية مرسال من عارفة عشان محرجة
تكلمك وبعثتني ليك بالورقة دي وسابتها ومشيت .
-وأنتِ صدقتي اللي فيها ؟

أم محمود : الكذب خيبة ، بصراحة مفكرتش لأن
وقتها صعب عليّ نفسي لما قرّيت اللي قرّيته وقولت
للدرجادي ؟

-أزاي يا ماجدة وأنا اللي كنت جياك بالذهب من
نفسي وكمان رجعت بيه ، فين الطمع في كده؟

أم محمود : الحقيقة مفكرتش ، مفكرتش إنها عارفة
موضوع الذهب وقولت أنتِ فعلاً اللي بعناها.

-هي تقريباً خمنت لما شافتني والعلبة بتقع مني قدام
الشقة ، اتخيلت بيها واقفة في الشباك.

أم محمود : طب وأنتِ صدقتي يا عارفة إني أقولك
متجيش عندي تاني؟

-مش ده السؤال ، السؤال هنا هي مخافتش حد فينا
يكلم التاني في التليفون فساعتها ونعرف إن ده كذب
ومحصلش زي ما عملنا كده ، ومش كان أولى أن
الموضوع يتم بعيد عنها ؟

يعني لو فيه شوية تفكير كانت رمت الورقتين قدام
الباب ومحدثش كان شافها وساعتها محدش فينا كان
هيقدر ينكر لأنه مش هيقدر يثبت إنه معملش ، أنا

مشغلش تفكيري غير إنها قررت تدخل بيتك وهي
عارفة إنك مبتحبيهاش عشان بتحب...

آسفة يا حبيبتى مقصدش بس مش غريبة دي وهي
بقالها فترة مبتدخلش؟

أم محمود : الموضوع ده عايزله قاعدة تانية ومش
هينفع الكلام فيه قدام إيمان لأنى فيه حاجات تانية
عايزه أقولها لك ، كمان عايزه أمشي قبل ما أيمن
يرجع ويشوفنى خلاص فاضل ساعة على ميعاده.

-طب روجي أنتِ دلوقتي وهنتكلم تاني ، عايزاكي
بس تسامحيني لو ظنيت فيك ظن سوء بس والله
على قد الغلاوة ، ومتوقعتش إنك تعملي كده.

أم محمود : وأنتِ كمان سامحيني يا حبيبتى ، وخلينا
نفكر هنعمل أيه.

-ولا هنعمل حاجة ، الزمن كاشف يا حبيبتى واللى
مستور دلوقتى مع الأيام هيبان ، ده كاس ودائر
والكل بيشرب منه.

تركنتى أم محمود وقررت الذهاب قبل عودة زوجها
من العمل وبعد أن قمت بتوصيلها إلى باب الشقة
تفاجئت أنا وهى بزوجها وهو يهبط من الطابق
العلوي لشقتنا وتقابلت الأعين وأصبحت كل الأطراف
المعنية بساحة معركة واحدة؛ فها أنا أقف الآن
وبجوارى ماجدة وابنتها الوسطى ويعلوننا بدرجة أبو
محمود وتعلونا أكثر بشباكها أم مبروك التى نست أن
تغلقه، بقينا لمدة عشرون ثانية على الأقل نتبادل كلنا
الأنظار دون حديث ، الكل يشعر أنه بورطة ما؛ أم
محمود تشعر بتلك الورطة وهى تقف بشقتى دون أن

تخبر زوجها الذي تشاجر معها منذ يومين ، وهو
 بورطة وقد رأيناه خارج موعد عمله ينزل من الدرج
 العلوي ، وأم مبروك بدى عليها الخوف من رؤيتنا
 سوياً وكل هذا يحدث أمام شقتي ، وإيمان تتوسط
 المشهد كالطفل الحائر بمكان كل ما فيه خائف من
 الآخر ولا يفهم من أين يأتي الخوف.

أيمن : أنتِ هنا ؟

أم محمود : أنت أراي مش في شغلك وأراي نازل
 من فوق ؟

-استهدوا بالله يا جماعة وندخل نتكلم جوة عشان
 الناس.

أيمن : استتي أنتِ مسمعش صوتك ، وأنتِ يا ست
 ماجدة مش قايلالي عند والدتك ، أزاي اشوفك
 خارجة من هنا.

أم محمود : أهو اللي حصل إنما أنتِ أزاي نازل من
 فوق والمفروض إنك في شغلك أصلاً ولسه قدامك
 ساعة على الأقل ؟

أيمن : أأ .. كنت .. كنت بعدل طبق الدش و و
 مروحتش الشغل النهارده.

أم محمود : طالع تعدل طبق الدش بالهدوم دي يا
 أيمن ؟ أمال لو رايح الشغل هتلبس أيه ؟

أيمن : أنتِ هتحاسبيني قدام الناس ؟ مش دي اللي
 قولتِ مش عايزة تعرفك تاني ؟ تعالي ندخل نتكلم في
 شقتنا؟

أم محمود باكية : هو أنا لو كنت عارفة أحاسبك كنت
 حاسبتك على مواعيد شغلك اللي اتغيرت وشغلك اللي
 مبقتش تروحه ، لو كنت بحاسبك كنت حاسبتك على
 رسائل الحب اللي بقت تجيلك على موبايلك وشوفتها
 بالصدفة ومقولتكش ، قولت ده يعرف ربنا والحلال
 والحرام وشوية نزوة وهتعدى ، على تأخيرك كل يوم
 بالليل وريحتك اللي بشمها ، أقولك تاني ولا كفاية!!
 إيمان احتضنت أمها : خلاص يا ماما مينفعش كده ،
 خلىنا ندخل نتكلم في شقتنا.

أم محمود بعد أن أمسكت يد ابنتها وقررت الرحيل :
 يالا يا إيمان نروح عند جدتك.

بعد أن تركته وذهبت نظر إليّ أبو محمود وكأنني أنا
السبب في ذلك ، وكانت قد دخلت أم مبروك وأغلقت
شباكها بهدوءٍ وبراعةٍ كالأطفال.

أغلقت بابي بعد أن ذهبت أبو محمود إلى شقته وكل
الطرق تؤدي إلى البكاء..

قضيت اليوم كله أشعر بالذنب على شيء لم أفعله ،
وتمنيت لو لم تأت ماجدة اليوم وبقيت بما فهمته
دون أن يحدث كل هذا ، على الأقل كان سيأتي يوم
وترد المظالم ، حين تسقط كل الأقنعة وكل إناء
ينضح بما فيه ، حينها سيعرف كل ساقٍ ما سقي
دون أن يضر البرئ ، ولكنها حكمة النصيب لا أحد
يعلم ما تخفيه الشدائد من حكمة.

قضيت الليل أبكي وأبكي ، ليس على ما رأيت
وسمعت ولكن على حال ماجدة التي ظلمت في كل
هذا وإمرأة أخرى كسيدة تنعم بالبراءة ولم يزج
اسمها حتى الآن بأي شيء.

لم استطع التفكير في أي شيء ، أريد أن أصلح ما
ليس لي ذنب في تدميره ، أتذكر تلك الليلة التي لم
تذق بها عيني النوم ، حتى أنني لم أستطع تدوين
تلك المذكرات بمدونتي وظلت بعقلي ترسم به حروفاً
من وجع ، فتمنيت لو أنني استطعت إفراغها على
الورق لعلمي أرتاح بعدها ولكن لم استطع ذلك ،
قضيت ليلي واضعة يدي بين قدماي اللاتي ضممتهم
إلى صدري كالطفل الصغير الباكي على شيء أكبر

من قدرته ، بالرغم من أننا بمنتصف الصيف ولكن
كان جسدي يرتعش.

رن هاتفي لتنبيهني بتمام الساعة السابعة إلا ربع
صباحًا ولكني كنت مستيقظة من قبلها ،

نهضت استند على حوائطي وبالكاد صليت فرضي
الذي دعوت الله كثيرًا ألا أكون سببًا في خراب هذا
البيت ، تناولت ما يبقيني حية كما لم أذق الطعام منذ
أكثر من يوم.

وجلست أفكر كيف أساعد تلك السيدة التي لم تفعل
معي أي شيء خاطئ سوى أنها أدخلتني بيتها
وحكت لي أسرارها وبكل عفوية نقلتها لسيدة أخرى
استغلتها لأخذ مكانها.

لم أشعر بنفسي إلا وقد قررت مراقبة كل شيء يدور

خارج تلك الشقة وأدونها لعلها تتفني ،

حتى لو استطعت استخدام كاميرا هاتفي البسيطة

لتوثيق ما لا يسهل كتابته ، حتى لو حاربتها بنفس

الطريقة.

أخذت مقعدي من الشباك المطل على شباك منزل أم

محمود أمارس هوايتي المفضلة، جلست بطريقة

تبقيني غير مرئية ولكن أمامي الطريقة التي بين

الشقتين ومن زاوية غير مكشوفة شباك أم مبروك ،

ومن زاوية أخرى أمامي شباك غرفة أم محمود.

رأيت ذلك النهار أبو محمود وهو ذاهب إلى عمله

ومن بعد رأيت أم مبروك كعادتها تغلق شباكها بعد

أن رآته وهو ذاهب وحين اختفى عن الأنظار رأيتها

قادمة أمام باب شقتي مما اربك حساباتي ولكن فكرت
للحظات لما لا أسجل لها حديثها ويمكن أن تكون قد
حفرت قبرها بيدها دون عناء ولا شقاء مني.

بالفعل فتحت لها بعد طرقات بسيطة قد انتظرت بعدها
ثواني حتى لا تفكر بأنني أقف وراء الباب..

أم مبروك : أيه يا حبيبتي عاملة أيه ؟

-أنا بخير طول ما أنا شايفاكى بخير يا سيدة اتفضلي
يا أختي ، بقالي كتير متكلمتش معاك.

حقيقة في كل حرف يخرج من لساني استغفر بسري
أمام نقطة حتى لا يحسب على بأنني منافقة، في
الواقع لم أعد أطيق رؤيتها أو سماع صوتها ، و لكن
هي الحرب.

أم مبروك : أهو يا أختي هروح فين يعني المشاغل
والبيت ما أنت عارفة يا عارفة.

-آه طبعا يا حبيتي عارفة وشايفة كل حاجة ؟ كان الله
في العون واداي الصحة تضيعيها في الخير والعمل
الصالح إن شاء الله ، ألا الواحدة مبقتش صغيرة
ونفسها تعمل عمرة أو حج كده الواحد مش ضامن
عمره يخلص أي وقت ويقابل ربنا من غير ما يعمل
لآخرته.

أم مبروك : أه والله يا عارفة الواحد محتاج يكفر عن
سيئاته ، ألا قوليلي صحيح ، بقالي كام يوم
مشوفتش حد داخل ولا خارج من شقة ماجدة ، هم
كويسين ؟

-آه كويسين وزى الفل هي بس عن والدتها بقالها
كام يوم بتظمن عليها هي والاولاد.

أم مبروك : عند والدتها ؟ ازاي وأنا سامعة صوتها
امبارح بتتكلم.

-يعني سامعة صوتها ولا بقالك كام يوم
مشوفتيهمش ، ارسى على بر وهاتى اللي عندك يا
سيدة من غير لف وسف ملوش فايده.

فكرت سيدة قليلاً قبل أن ترد وكأنها تزن الكلام
بمكيالها الخائب قبل أن تخرجه..

أم مبروك : أنا شوفتكم امبارح واقفين بتتعاتبوا قدام
شقتك وبعدها مشيت فعايزه أعرف أيه اللي حصل.

- عايزة تعرفي اللي حصل ؟ مش عارفة مين فينا

يسأل مين على اللي حصل ؟

أم مبروك : قصدك أيه يا أختي مش فاهمة؟

-يعني اللي عنده القول والفعل هو أنتِ ، ولو أنا

عارفة فأنتِ ست العارفين ، .

أم مبروك بنظرة جامدة : طب اعتبريني عارفة يا

عارفة وحابة أسمع منك برضو واللي عنده حاجة

يقولها.

-طب ماتيجي نلقب الطاولة ياسيدة وتقوليلي اللي

عندك وانا أكدهولك أو أنفيه.

أم مبروك : أنتِ مش سهلة ، هتعملي عليّ مدرسة

وهتديني درس في الأخلاق أنا عارفة.

-هو الدرس جاي جاي وهتتعلميه ياسيدة بس مش عارفة مين اللي هيشرحهولك أنا ولا الزمن.

أم مبروك :من الآخر أنا سمعت كل كلامهم امبارح بس مش أنا اللي الكلام عليها ، أيمن كان فعلا بيعدل طبق الدش ، والجزمة اللي شوفتيها قدام بابي قبل كده متخصهوش ، وأنتِ فاكدة إني هموت عليه ليه ، عشان مش معبرني ومش باصصلي أصلاً ، رغم إني عملت كل حاجة تلفت نظره ليّ.

-أنتِ اللي بتبعتيه رسايل على تليفونه ياسيدة ؟
أم مبروك : ولا رسايل ولا غيره كل اللي عملته إني ببوظ الدش عشان يطلع يعمله وبقف قدامه بلبس خفيف عشان ياخذ باله مني والراجل عينه مبتشفوش غير الأرض ودي تاني مرة أعملها لدرجة

إن مرة وقعت مياة على هدومه واتحالت عليه كثير
يدخل انشفهاله ومرضيش.

-جزمة مين اللي كانت قدهم بابك ياسيدة ؟

أم مبروك : مين اللي بتبعته الرسايل يا عارفة ؟

-هترديلي سؤال بسؤال ؟

أم مبروك : اللي ليك عندي خدتيه يا عارفة اللي
يخص صاحبك أكثر من كدة متسألش.

هل في الكلام اللي قولتلهوك حاجة تدينه ؟ لا ،
حاجة تديني أنا ؟ ميخصش حد.

-طب والرسالة اللي بعتهالي بأيد إيمان بلسان

ماجدة وبعتهلها زيها كان لزومها أيه ؟

أم مبروك : رغم إني ممكن أنكر وأكذب البنت
 الصغيرة وأحلف لماجدة إنك أنتِ اللي بعتاني بيها
 بس هقولك ليه ، ببساطة حببت اسحب البساط منك
 عشان أنتِ اللي دايمًا كنتِ حايشاني عنهم وحببت
 أثبتلك إني ممكن أدخل وأخرج من عندهم عادي ،
 وأكثر من كده مش هجاوبك ، والكلام اللي أتقال ده
 كله هتبليه وتشربي ميتة لان محدش هيصدقه ولا
 هتعرفي تثبتيه عليّ ، كل الحكاية إني جيت أسألك
 وأعرف هل الموضوع اللي حصل امبارح ده فيه
 حاجة تخصني ولالا وأتأكدت إني برة الموضوع.

-طب أنتِ عايزة أيه دلوقتي ؟

أم مبروك : عايزة اعرف مين اللي بيعت الرسائل
لأيمن وبيتأخر معاها لآخر الليل وليه مش عايز
يتجاوب معايا ؟

-لا ده أنتِ كدة اتجننتي بقى ، هو أيمن يخصك في
أيه ياست أنتِ؟ والراجل مش شايفك أصلاً ومشاكله
يحلها هو ومراته أحنا مالنا ؟

أم مبروك : أحنا مالنا ؟ لا طبعا ما هو أنا متسابش
كدة وطالما هو مش مخلص لمراته أوي كدة يعني ما
أنا كنت قدامه وأنتِ ولا هتكلمي ولا هتفتحي بقك
وسيبك بقى والنبي من قصة الأخلاق والحلال
والحرام لأحسن أنا ممكن أخبطك أنتِ بالموضوع كله
وأقولهم إنك أنتِ اللي بتبعيهم الرسائل وعايزة

تخربي عليهم عشان عينك من الراجل ، بأديكي
تسكتيني بأديكي تشوفي وشي الثاني.

-لا ياسيدة هو أنا كنت أعرف إنك بوشين قبل ما
أشوف الوش المكشوف التالت ده ومش عارفة
هتقولي لربنا أيه لما تقابليه ومنين جيبتي الجرأة دي
كلها ؟

أم مبروك : ياما فالجرباب يا حاوي ، وكلامي انتهى
هشوف هنعمل أيه هبلغك في التليفون سلام بقى.

ذهبت سيدة ولم أعلم هل أبكي أم أفرح على ما
سمعت ولا تعلم هي أنني كنت أسجل حديثنا بمسجل
الهاتف ، وكما توقعت أنها ساهمت بكتابة كلمة
النهاية فيما يخص تفكيرها العفن.

بيدي الآن أداة كالنار لا أعرف كيف استخدمها لأنني
 لست جيدة كفاية بتلك التكنولوجيا وسني لا يستوعب
 ذلك ، فكرت أكثر من تفكير هو أن أواجهها وابتزها
 بذلك التسجيل ولكن ذلك سيمنحها الوقت لتبرير أي
 شيء ، فكرت أن أرسله لابنها ولكن في النهاية هي
 أمه ولن يصدق وحتى لو كان ، فكيف أرسلها له من
 الأساس؟ تركت الموضوع من عقلي لدقائق وذهبت
 لأتوضئ وأصلي عسى أن ينير الله بصيرتي
 ويخرجني من هذا الموضوع دون خدوش لسمعتي
 وسيرتي التي لم يمسه خيانة ولا كذب ، حتى
 النميمة كنت أعلم عقابها وها هو قد جاني ولكني
 كنت استغفر الله كثيرًا فهذا مرض السامعين.

بعد أن أنهيت صلاتي وتسبيحي جلست أعاود ما تم تسجيله وأفكر من أين أبدأ، أيمكن أن ادخل أبنائي؟ ولكن سيلومونني أنني أدخلت نفسي بكل تلك الجلبة.

وأيمن متورط بكل ذلك وطرف رئيسي لن يمكنني إخباره.

وكيف لي أن أعتمد على أطفال كأولادنا جميعًا فأكبرهم لم يتعدي الخمسة والعشرون عامًا ، وأنا أعتقد أن الموضوع أكبر من ذلك.

في البداية اتصلت بماجدة أخبرتها كل شيء ولكن أخذت وعدًا أن لا تخبر أي شخص حتى نحدد كيف سنتصرف ، هي لم تتعجب من تفكير سيدة بزوجها لأنها تعلم ولكن الاستغراب كان لتفكيرها به بهذا الشكل وكيف لها أنها فكرت بخراب حياته لتنفرد به

وأن تفعل ما فعلته للفت نظره ، ماجدة فرحت قليلاً
 وحزنت كثيراً؛ لأنها تأكدت أن زوجها كان بالفعل
 يصلح إشارة التلفاز ولم يلتفت لمغريات تلك المرأة
 اللعوب ، ولكن كان الحزن على قدر عشرتهم بأنه
 بالفعل هناك امرأة أخرى بحياته فمن يرسل تلك
 الرسائل وكيف له بالتأخير وتلك الروائح الفائحة منه
 ليلاً.

وأخبرتها أن نتصرف بحكمة حتى لا يضيع كل شيء
 واقنعتني بأنه لابد أن يعرف ابنهما محمود فهو جيد
 بالتكنولوجيا وعقله يسمح بتفكير يرضي كل
 الأطراف وبالفعل حين علم ذلك أخبرني أن أذهب
 إليهم ببيت جدته وأن أحضر معي شريحة هاتف
 جديدة وقد كان.

في البداية أرسلنا مقطع صوتي يخص أم مبروك
وباختصار كان الذي تحكي به عما كانت تحاول فعله
لأيمن بعدما قصصنا جزءً منه وقد أرسلناه لابنها
مبروك ليكون رقيباً عليها وإن أخبرها فسترجع عن
فعلتها ولن نستطع أن تأخذ أي خطوة غير محسوبة
وإن لم يخبرها حملت همه وسينفجر بها بيوم من
الأيام وها هو تمهيد إن رأى شيئاً يواجهها بذلك
التسجيل.

قمنا بإرسال نفس التسجيل المصغر إلى هاتف أيمن
ولكن كتبنا له رسالة بعدها:

"مراتك عارفة أنت بتعمل أيه ومع مين فياريت
تعود عن تفكيرك وترجع لبيتك وأولادك والتسجيل ده
أمانة صغيرة إنها تعرف كل حاجة ، هي متعرفش

إني بعثتك الرسالة بس أنا مهنش عليّ بيتك يتخرب
 واعتبرني فاعل خير ، آه وخلي بالك فيه تسجيلات
 تانية تخصك أنت مش هتطلع لو شوفتك رجعت عن
 اللي في دماغك."

كان هذا ترتيب محمود والذي راقني حقيقة فقد
 أوقعنا بتدبير أم مبروك في أقرب شخص لها وأبعدنا
 الضغط عني وعن ماجدة وهددنا أيمن أن يعود مرة
 أخرى لصوابه دون أن يعلم بما زوجته وابنه
 مشتركين به ، ولكن من أجل أن تحافظ على من
 تحب عليك أن تضحي وتحاربهم بنفس الأسلوب.
 فعلنا كل ذلك من رسم خيوط الدفاع وننتظر الأيام أن
 تكمل عقده.

مر يوم ، يومين ، وفي الثالث وجدت أم مبروك
تتصل على هاتفي وهي تبكي ، وكأنها استبدلت
شخصيتها بشخصية أخرى غير التي كانت تكلمني
بها منذ أيام وتخبرني وهي تبكي أن أحاول تصليح
ما تم ارساله لابنها وأخبرتني بأنه قد واجهها
وقاطعها وأخبرها بأنه سيرسل المقطع لأخيها لأنه لا
يستطع إهانتها لأنها أمه وإذا تم ذلك يمكن أن يقتلها
أخيها أو في أسوأ الظروف سيقاطعها أو يأخذها
تعيش معه كل آخر ، وأخبرتني دون أن تدري بأنها
هي من أجبرت صديقة لها بالتقرب إلى أيمن لإبعاده
عن زوجته بارسال رسائل له ومقابله حتى بدأ
بالإهتمام بها وترك زوجته ونصف المخطط قد نجح
قبل أن تعلم بأن صديقتها أعجبها أيمن هي أيضاً ولا

تريد التفريط به ، أي أخلاق ستُلام عليها هي
الأخرى.

لا أصدق ما سمعت وحقيقة لا أعرف كيف نصلح ذلك
فمهما كانت سيدة هي امرأة مثلي ولن أنكر بأنني
بكيت حين استصعب عليّ حالها ولكني في الأخير
سامحني الله أنكرت بأنني من أرسلت المقطع
الصوتي لأنني لم أنسى ما هددتني به وها هي قد
شربت من نفس الكأس.

ولكني استغلّيت الفرصة وسألتها عن صديقتها
لتخبرني أي معلومات عنها حتى نستطع حل الأمر
بطريقة أخرى ولم تتوانى في إخباري بكل المعلومات
التي أحتاجها من محل السكن واسم وكل شيء ،
وأخذت عليّ عهداً أن لا يزوج اسمها بأي شيء بعد

ذلك ووعدتني بأنها ستنسى هذا الموضوع نهائياً
ولن تفكر به مرة أخرى.

ثم أخبرتها أن تتركني أفكر كيف سنتصرف حيال
ابنها مبروك ولكن عليها أن تعدني بأنها لن تفعل
ذلك مرة أخرى وأن تحاول من ناحية أخرى إبعاد
صديقتها عن أيمن وأنا سأرى حل لتلك التسجيلات
التي أخبرتها بأنني لم أعرف من قام بتسجيلها
وأرسلها ولو أنني متأكدة بأنها تعرف بأنني من فعلت
ذلك، فالكلام قيل بيننا ولم يكن ثالثاً أحد سوى
الشيطان الذي لم يجتمع إلا مع رجل وإمراة ولكنه
وجد الفرصة مناسبة للإيقاع بحياة البشر وتخريبها ،
فنحن بدأنا وهو أكمل ذلك ولكن علينا جعل كيده في
نحره.

اتصلت بماجدة وأخبرتها بأن مخططنا قد أتى بنصف
ثماره وهو الإيقاع بتلك اللئيمة اليائسة ، ولم يبق
سوى إبعاد تلك المرأة الأخرى عن زوجها وكانت
ستتسرع حين أرادت مني إخبارها بمكان تلك المرأة
للذهاب لها ومواجهتها وأخبرتها بأنه ليس الحل
السليم ، فماذا سيحدث حين تذهب وتجد زوجها هناك
مثلاً؟ حينها سيفتح جرح لن تضمده السنين مهما
مرت وتوالت.

أصبح الأمر أكثر تعقيداً ، فبعدما كنا نحارب أم
مبروك أصبحت معنا في جبهتنا مجبرة على الحرب
معنا حتى لا تسوء عيشتها كما كانت تتمنى لجارتها
ماجدة، وبعدما كانت تخطط لخطف زوجها فجعلت
وسيط لذلك خطفته منهم هم الاثنين ، ما هذا التعقيد؟

ومالي بكل ذلك؟ هذا جزاء تدخلني فيما لا يعني ،
 هل إن أخذت نفسي وذهبت بعيداً سأنام راضية
 ومطمئنة؟ نعم ولا؛ نعم لأنني ليس لي دخل بكل ذلك
 سوى أنني وجدت نفسي على ساحة معركة أتوسطها
 ويجب عليّ أن اشارك الأمرّ بسلام ، ولا لأنهم
 جيرانني وأنا مدينة لهم ولا أستطع التخلي والخذلان
 فمأجدة كالغريق الآن تنتظر من ينجدها فماذا إن كنت
 مكانها وبالفعل هي تعلقت بأملني لها؟
 فكرت أن أذهب إلى تلك المرأة الأخرى التي تدعي
 جميلة ولكن الواضح أنه لن يكون اسماً على مسمى؛
 فمن كان جميلاً فبأخلاقه ليس مجرد اسم.

فكرت مع نفسي قليلاً لما لا أضرب العصفورين
بنفس الحجر وإن لم يصلح ذلك الحل فلن تسوء
الأمر أكثر ، فنحن في القاع ولن نقع مرة أخرى.

اتصلت بمبروك وأخبرته بأنني أريد التحدث إليه بأمر
مهم يخص والدته وأخبرته أنه سيضل سراً بيننا ولن
يخبرها بذلك وبالفعل قد أتى بعد موعد عمله بقليل
لأنه استشعر مني القلق..

مبروك : ازيك يا خالتي ام خالد عاملة أيه ؟ يارب
تكوني بخير.

-لا أنا بخير يا حبيبي وبلاش نظرة القلق اللي على
وشك دي الموضوع مش كبير زي ما أنت شايفه.

مبروك : موضوع أيه يا خالتي اللي يخص والدتي ؟

قالها وهو يظهر على وجهه القلق عسى أن أكون قد علمت بموضوع الرسالة الصوتية لأنه لا يعلم بأنني من أرسلت الرسالة ، حقيقة تخوفت كثيرًا أن أخبره بأنني من أرسلت الرسالة حتى لا ينقلب عليّ الأمر ، ولكن أقصر طريق للراحة هي الصراحة..

-بص يامبروك مش هكذب عليك وهأكد شكوكك ، أنا أعرف موضوع الرسالة اللي اتبعثتك على تليفونك بصوت والدتك وعائزة أكلّمك في الموضوع ده..

رأيت غير ملامح وجهه وأوشك على البكاء وكاد أن يذهب ولكني أمسكت يده وضممته لصدري حتى هدأ وأخبرته بأن لا أحد يعلم هذا الموضوع غيري ولا تسألني كيف ذلك وعليه أن ينتبه إليّ جيدًا..

-بص يامبروك أنت صغير ، وإن شاء الله بكرة لما
ربنا يرزقك وهتجوز وربنا يكرمك بأولاد هتعرف إن
الفراق صعب وممكن صاحبه الجرح يخليه يعمل
حاجات هو متعودتش عليها ،

والدك مات وأنت صغير ووالدتك حلوة وكانت صغيرة
، أنا معاك إن اللي حصل ده غلط في كل الأحوال ،
ولا دين ولا دنيا تقول فيه عذر للي حصل ، بس بدل
ما نموت نعالج ، بدل ما نهجر نحتوي ، متزعش
مني والدتك لو وقتها مشغول ليه هتفكر في حاجة
تانية؟ ليه متفكرش تعمل عمرة أنت وهي ؟ عارفة
إن كلامي صعب بس ليه متجوزهاش؟ أنا عارفة إن
جالها ناس من فترة وأنت اللي رفضت.

مبروك : يا خالتي ما هو أصغر منها وأحلى منها
وبيرضي بنصيبه وبيعيش لعياله ، وبعدين ازاي
ادخل راجل غريب مكان والدي الله يرحمه وأنا
مبقتش صغير ؟

-يابني ولا عيب ولا حرام يعني اسفة في اللي هقوله
مش هي لو متجوزة مكنش حصل كل ده ، ولا كان
حصل كانت هتبقى ملزومة من راجل ، وأنت راجل
على راسي بس خبرتك أيه في الدنيا ، تعرف أيه عن
السن بتاعها ، تعرف أيه عن احتياجاتها النفسية ،
عندك أيه تديهولها غير اهتمامك بيها وتحسسها انها
مش لوحدها ؟

مبروك : يعني حضرتك شايفة أيه ؟

-بص يا ابني أنا عندي زيك وكان ممكن أبقى مكانها
بس زي ماقولتك مش كل الناس زي بعض وظروفنا
مختلفة يمكن أنا عجوزة عن والدتك شوية وهي
أحلى مني ، بس معني كدة إني مش حاسة بيها ولا
مريت بظروفها؟ طبعا كل ده عشته ما أنا في الأول
والآخر ست زيها ، اللي طلباه منك الأمر يفضل بينكم
ميخرجش وأنا اوعدك محدش هيعرف حاجة عن
الموضوع ده ، بس أنت أقعد اتكلم معاها وصاحبها
يامبروك ، صاحبها ياحبيبي ، اخرجوا اتفسحوا ،
هاتلها ورد ، مش أنا اللي هقولك ، ومش هنكر إني
شايفة الزعل ف عينك وليك كل الحق في ده ، ولازم
تعاتبها عشان تحس ان اللي عملته مش قليل ، اصبر
يومين كدة متتكلمش لحد ما تهدى وواحدة واحدة

اطلب اتكلم معاها بس بالله عليك أحنا ما قعدنا مع
بعض ولا اتكلمنا.

مبروك : طب يا خالتي انا هسيبك دلوقتي وهقوم
ارتاح واللي فيه الخير يقدمه ربنا.

تركني مبروك وذهب وقبل أن يرحل سألته:

-مبروك أنت تعرف حد صاحبة مامتك اسمها جميلة
؟

مبروك : أيوة دي ست طيبة أوي وجوزها راجل
محترم دهيما ببيجي يسأل عننا بعد وفاة بابا ساكنين
قريب من هنا ، بس اشمعني ؟

-لا يا حبيبي ولا حاجة المهم متنساش اللي قولتلك
عليه ، استنى بس اشوف حد واقف برة ولالا عشان

والدتك متشوفكش وأنت خارج من عندي ، بقولك ،
هي ساكنة فين قولتلي ؟

مبروك : بعد خمس شوارع من هنا بيت رقم 14
جنب الصيدلية الجديدة.

-تسلم يا حبيبي سلام.

وجدت الحيرة بعينه لكثرة سؤالي عن تلك المرأة
ومن الجيد انه أكد لي بأن هناك بالفعل سيدة تدعي
جميلة ولم تكن أمه تكذب على ولا أعلم لما لم أخبره
ماذا فعلت تلك المرأة ولكن هذا ما حدث ، ضميري
ارتاح قليلاً ويبدو أنني حللت أمر أزمة سيدة ، وتبقي
الأزمة الأساسية التي تخص أيمن وماجدة لكن كيف
أبعد تلك المرأة عن أيمن لتعود المياة لمجاريها؟

وأعلم أن تلك الجراح سيضمدها الزمن ولكن ستبقى
أثارها ، هذا ليس هامًا بقدر تسكينها..

الفصل الخامس

ربما النهاية سعيدة

مرت الأيام حوالي الخمسة أجلس مكاني أراقب ما
يحدث ولا شيء جديد ، الغريب بالموضوع هو شباك
سيدة والذي ظل مغلق منذ آخر مرة رأيته بها مفتوح
لعلها صدقت وعدها والتزمت منزلها ، ولا أعرف إن
كان مبروك تكلم معها أم لا ، فوجدت أنها من تتصل

بي بنفس الوقت الذي كنت أتحدث مع نفسي عليها ،
ولو طلبتها لما جائتني سهلة هكذا.

أم مبروك : ازيك يا عارفة طمنيني عليك.

-الحمد لله يا سيدة أنا بخير ، فيه حاجة ؟

أم مبروك : لا يا حبيبتي بس بتظمن عليك ،
وحشتيني ووحشتني قعدتك والكلام معاك.

-لا ما أنا توبت يا حبيبتي متشوفيش وحش ، وإن
شاء الله رايحة أعمل عمرة بعد رمضان عقبالك
ونروح في طيارة واحدة.

أم مبروك : ادعيلي أنتِ بس يا أختي إن كل حاجة
تعدي على خير ، أهو الواد مبروك ربنا هداه واتكلم

معايا وهدى من ناحيتي ، سبحان مغير الأحوال وانا
وعدته إن اللي حصل ده مش هيحصل تاني.

-ربنا يصلحك الحال ، اتقي الله يا حبيبتي هتلاقي
مخرج من كل شيء فحياتك وتدبير الله لا قبله ولا
بعده ولا هتلاقي أحسن منه.

أم مبروك : نفسي تسامحيني ولو اقدر أصلح اللي
حصل مني لماجدة كنت عملته لكن خلاص مش هقدر
أحط عيني فعين حد منهم.

-أنا عن نفسي مسامحاكي لله ، أما بقى ماجدة
وأيمن استأذنك صفي أمورك معاهم بعيد عني أنا
ست لي سمعتي ومحبتك تتعكر ، أنت حرة معاهم ،
استأذنك بقى أصلي الضهر.

ام مبروك : لما أتصل بيك تاني يا عارفة ردي عليّ
بالله عليك ومتسبنش لوحدي ، مليش حد.

-حاضر ياسيدة ربنا يطمئن قلبك ويريح بالك وأنا هنا
لو احتجتيني ، يالا في رعاية الله عشان الصلاة.

أغلقتا الهاتف وأنا لا أعلم ما تلك الحالة من الانكسار
، ألك المرأة التي كانت تثير عينيها من الشر منذ
أيام؟ أيفعل الندم كل ذلك ؟ حقيقة لم أصدق ذلك ولم
يرتاح قلبي ولكن هو أمر واقع إن خطتي لها قد أتت
بثمارها وهذا ثاني انتصار شخصي ، لعلها تصدق
بذلك وقد صلح حالها فما أجمل الستر وما أنقى
المستورين.

لم يتبقى سوى أنني أذهب كما فكرت إلى بيت تلك
المرأة التي تُدعى جميلة وأن أواجهها بدلاً من ماجدة

لعلها ترجع عما يدور ببالها خصوصاً أنها متزوجة ،
 لا أعلم أي نوع من النساء أصبحنا نعيش بينهم ،
 نعيب زماننا والعيب فينا ، ولكن امرأة بتلك الاخلاق
 والتفكير عليّ أن أدبر حالي جيداً قبل مواجهتها ،
 ربما لم تكن بتلك الفطنة ولكن عليّ الحيطة والحذر
 لعلها تقلب عليّ الطاولة وتساألني مين أين عرفت
 الموضوع أو ما يخصني ، ولكن الله معي فمن عليّ؟
 صليت فرضي وجهزت نفسي وذهبت إلى منزل تلك
 المرأة بناءً على العنوان الذي أخبرني عنه مبروك
 تماماً، طرقت الباب طرقتين وفي الثالثة قد لفت
 انتباهي وجود حذاء أمام الباب يشبه الحذاء الذي
 رأيته من قبل أمام شقة سيدة ، لعليّ مخطئة ولعله
 يشبهه فقط ، فلم ينتج المصنع تلك فقط ، فُتح الباب

على مصراعيه وجدت سيدة آية في الجمال بريق
عينيها يخطف العيون ، فلو كنت رجلاً لأحببتها ، ما
هذا الذي أفكر به وهي تنظر إليّ ؟

جميلة : نعم ، مين حضرتك ؟

-أنا اسمي عارفة وجيالك من طرف صاحبك سيدة.
جميلة وهي تنظر حولها بتوتر : سيدة ؟ عايزة أيه ؟
قصدي اتفضلي نتكلم جوا.

دخلنا فجلسنا وقد أحمرت وجنتيها قبل أن اتكلم
فكيف بتلك المرأة أن تخجل ، فلا خجل بتلك الأخلاق،
قبل أن أبدأ كلامي دخل علينا زوجها ويبدو عليه أنه
كان يستعد للخروج وبعد أن رحب بي دون أن
يسألني من أنا لأنه كان يبدو عليه الاستعجال ، بعدها

خرج بعد أن أخبرته زوجته بأن يعطي نقود الجمعية
لأم مبروك وهو عائد بطريقة.

تذكرت حين قال لي مبروك بأن زوجها يأتي إليهم
أوقات ليطمئن عليهم ، وربطت وجود الحذاء
بالخارج والذي يشبه سابقه عن سيدة ، وسيدة
رفضت أن تخبرني من صاحب الحذاء وأنكرت أنه
لأيمن ، عقلي شل عن التفكير وكأني أحلم ، من
يحب من ومن يكلم من ومن يحاول خطف زوج من ،
كيف انحدر بنا الحال ؟!

هل أواجه زوجته وأخبرها بما أشك به ، ولكن ماذا
إن كنت مخطئة وكان رجلاً صالحاً ؟ حينها سأكون
قد ساعدت بخراب بيته بدلاً من أن أصلحه كما أتيت
لأواجه تلك المرأة ليس لأخبرها بأن زوجها يخونها

مع صديقتها التي دبرت خيانتها مع زوج جارتى التي
ظلمت بكل ذلك ؟

أصبحت كالمصاب بأرض المعركة لا يوجد بها من
يداوى جراح تفكيرى الذي توقف حين كانت تناديني
جميلة لأبدأ الكلام الذي أتيت لأخبارها به ، لا أعرف
من أين أبدأ ، ولكن أتتني تلك الفكرة.

-بصي يامدام جميلة مش عارفة أبدأ منين ، بس أنا
ست ميخلصنيش بيت يتخرب ، ومينفعش أشوف
غلط وأسكت عليه.

جميلة : غلط ؟ غلط أيه يامدام ربنا مايجب غلط ،
قولي قلقتيني.

-أنتِ بتثقي في صاحبك سيدة ؟

جميلة : اشمعني ؟

-لا أبدًا أصل حصل حاجة بينك وبينها كدة وبينكم عامل مشترك فقولت لازم تعرفي اللي اتقال.

وكأنها زاغت بأبصارها عني وكأنها تهرب من شيء نعلمه كلينا ، ولم أسلم من هذا العامل النفسي بالضغط عليها..

جميلة : أيه اللي حصل ؟

-أصلي شوفت جوزك هناك قبل كدة أو اتخايلت بيه عشان مكونش كذابة واتأكدت إنه بيروح هناك لما قولتيله عالجمعية.

جميلة بثقة وكأنها اتطمأنت : طب وأيه المشكلة ما
أنا عارفة انه بيروح ساعات هناك وبيقولي وبيروح
لما بيكون ابنها هناك مفيهاش حاجة.

-تعرفي أيمن ؟

جميلة : أ .. أيمن ؟ أيمن مين معرفش حد اسمه كده
.

-أيمن ده ساكن تحت سيدة ، وهي قالتلي إنها بتحبه
وأنا نصحتها تنساه عشان هو راجل متجوز.

جميلة : آه آه افكرته ، مراته كانت عاملة معايا
جمعية وهو كلمني وجالي البيت هنا عشان يكلمني
في حكاية الفائدة والموضوع خلص ، ودخلي أيه انا
بموضوعه مع سيده ؟

الحق يتقال هي لما عرفت إنه جالي هنا عشان
الموضوع ده طلبت مني أبعثله رسايل من خطي
التاني أعاكسه بيها عشان الموضوع ده أنا مرضتش

-أنتِ رقمك آخره 500 ؟

جميلة : أيوة ورقمي مع ناس كتير عادي بحكم إني
بعمل جمعيات.

-وهل كل الناس اللي رقمك معاها عندهم رسايل
حب على تليفونهم من رقمك ؟

جميلة : أنتِ أيه اللي بتقوليه ده ، أنتِ مجنونة ؟
ازاى تطعنيني بحاجة زي كده ، الراجل شوفته مرة
واحدة ويمكن مفكرش شكله أصلاً ، وأنا ست

شريفة وكل اللي يعرفني يشهد بكدة ، أنت جيبتي
الكلام ده منين وفيين الرسايل دي ؟

-بصي يا جميلة مع رفع الالقاب لأني أكبر منك ،
الرسايل موجودة ، ومش هينفع انكار ، وطبعًا
وضعتك هيبقى وحش لو جوزك شاف الرسايل دي .
أغرورقت عيناها من الدموع ونظرت إليّ بنظرة
أوجعت قلبي : والله ما بعت حاجة ولا لي علاقة
بإبراهيم ولا اسمه أيه ده ، والرسايل دي اتبعتت
ازاي ، وهيبقى وضعي أيه لو جوزي شافها؟
-أمتي آخر مرة سيدة جاتلك البيت أو أنت روحتيها
؟

جميلة : مش فاكدة بس كانت بتجيلي عادي وكانت
بتسألني وحيد موجود ولا لا وقولت إنها بتتكسف

وكنت بقولها تعالى عادي حتى لو هو موجود
، وكانت بتيجي تقعد معايا بالساعات وتمشي.

-مفيش مرة مسكت تليفونك ؟

جميلة : كل شيء وارد ما أنا كنت بسببه قدامها
وأعمل شاي أو أي حاجة ، وأنا تليفوني زي ما أنت
شايقة بسيط مش بيتعمله رمز وكدة.

-طب معلش ممكن أمسك تليفونك لو مش هيضايقك

.

جميلة : لا أبدًا اتفضلي.

أمسكت الهاتف وصرت أقلب به لعنني أجد أي شيء
بخانة الرسائل المرسله وبالفعل وجدت كل الرسائل
التي أخبرتني عنها ماجدة وكلمات وإيحاءات فوجهت

الهاتف لأنظار جميلة لتراها ، ولا أعرف من أصدق
الآن أصبح الأمر متشابك غاية في التعقيد.

جميلة : الرسائل دي على تليفوني أنا ؟ دي مبعوته
فعلاً من عندي بس مش عارفها والله وأول مرة
أشوفها!

-طب ممكن تتصلي بسيدة كدة وأنا واثقة إنها مش
هترد عليك.

حاولت بالفعل الاتصال بها دون أن تدري السبب
وراء طلبي ولكنها استشعرت بأنها بورطة وعليها
إتباعي مجبرة على ذلك، وبالفعل لم ترد على
اتصالها ، فأخبرتها أن ترتدي ملابس لائقة للخروج
معي ، وأخبرتها بأننا سنذهب إلى بيت سيدة لنسألها
عن تلك الرسائل.

بالفعل لم تنفك عن المجيء معي وما أن وصلنا إلى
أمام شقة سيدة لفت نظري وجود نفس الحذاء أمام
الشقة الذي رأيته من قبل بنفس المكان وأمام شقة

جميلة أيضا ،ولفت انتباهها هي أيضا لتخبرني

بهمس : جوزي جوة ، يالا نمشي بالله عليك ، لو
جوزي عرف حياتي هتبولظ وانا مش عارفة أنا جاية
معاك ليه أصلاً؟! وسيدة ممكن تنكر الرسائل دي ،
وحتى لو مأكرتش فجوزي مش هيصدق.

-وطي صوتك ، مين غيرها ممكن يبعثها لو مش
هي ومش أنتِ اللي بعتها ، هيكون جوزك يعني اللي
بعت الرسائل لراجل غريب عشان يورطك؟

جميلة : طب وهي سيدة هتعمل كدة ليه ؟

-هتعرفي دلوقتي ؟

وكان قلبي كان يشعر وانقلبت كل الموازين وتبدلت
استراتيجية الحرب التي خطت لها ويبدو أن أم
مبروك صدقت حين أخبرتي بمقولة ياما فالجرباب
ياحاوي ، طرقت الباب مرتين والثالثة أجابت من
وراء الباب : مين ؟

-أفتحي ياسيدة أنا عارفة.

أم مبروك : لوحدك ولا معاك حد ؟

-هتفرق معاك إيه مش عايزة تفتحي براحتك ، كنت
عايزة أقولك إني رايحة لصاحبك جميلة تحبي تيجي
معايا ؟

فتحت الباب وهي تنظر من فتحة الصغيرة وعينيها
نحوي حتى انصدمت حين رأت جميلة تقف بجانبني

وكأنها ارتبكت وظلت تنظر للشقة وتنظر إلينا وتارة
على الحذاء الذي أمام الباب.

أم مبروك : جميلة ؟ أيه اللي جابك ؟ وأنتِ مش
قولتي اننا اللي هنروحها ؟

-لا ما أنا محبتش اتعبك وجيبتهأ لحد عندك ، هو
مبروك هنا ؟

ام مبروك : هه مبروك ؟ لا مبروك في الشغل.
-أمال جزمة مين دي ؟ وبعدين هنفضل نتكلم على
الباب ؟

جميلة : دي جزمة وحيد جوزي ، أنا عارفها كويس
انا اللي شرياهاله.

ام مبروك : وحيد ؟ وحيد أيه اللي هيجيبه عندي
دلوقتي ؟

جميلة : أنا اللي قولتله يعدي عليكِ عشان الجمعية.

أم مبروك : جمعية أه ، لا ماهو جيه وقولتله الفلوس
مش جاهزة دلوقتي ، وأنا هبقى أجيلك ، ومعلش
مش هقدر أفتحلكم لأنني بمسح الشقة والدنيا جوة
مركبة ومش هنعرف نقعد ، انزلي عندك ياعارفة
وأنا هنزلك.

نظرت أنا وجميلة إلى بعضنا البعض لنخبر بعض
بأنها تكذب دون كلام وواضح للعيان ، ولكن جميلة
حتى الآن لم تر شيئاً ، أخبرت جميلة بأن تنزل معي
لشقتي وأقنعتها بذلك وبالفعل نزلنا في انتظار قدوم
سيدة كما أخبرتنا ولكن قبل أن تأتي جلست أنا

وجميلة في مخبأي الغير مرأي بجوار شباكي ننظر
 ناحية شباك أم مبروك والذي رأيناها ننظر منه
 وكأنها تراقب الطريق ، لحظات ورأينا وحيد زوج
 جميلة ينظر من الطابق العلوي ينظر حوله لتخرج
 جميلة مسرعة إلى الباب لتصطدم الأعين وتتواجه
 القلوب ، وبعد أن هرولت ورأها ووقفنا ثلاثتنا
 ننظر لبعضنا وكانت هذه المرة الثانية التي أقع بهذه
 الحفرة ، كما فعلت بين ماجدة وأيمن وهنا بدأ
 الصراع.

جميلة : انت بتعمل أيه هنا ياوحيد ؟

وحيد : هه ؟ أه كنت جاي آخذ الجمعية من أم مبروك

.

جميلة : بس أنا شايفاك نازل مش طالع.!

وحيد : لا ده بيتهياك بس ، أنا كنت طالع.

-طب اتفضلوا ياجماعة نتكلم جوة.

وحيد : بعد إذنك ياست أنتِ تخليكي في حالك.

-هو كل واحد هيتقفش قدام مراته هيقولي اسكتي ؟

طب ياسيدي سكتنا ، اتكلم أنت بقي قولها بقي هترد

عليها بأيه لما تقولك إن أم مبروك قالتلها إنك جيت

وهي قالت ممعهاش فلوس وهي هتبقى تجيب

الجمعية ، وكمان شوفنا الجزمة بتاعتك فوق ، رد

ساكت ليه ؟

ولا تحب أقول لمراتك إني شوفت الجزمة دي هنا

قبل كدة ؟

ولا تحب تشوف أم مبروك اللي لعبت عليك وعلى
مراتك عشان توقع راجل تاني غيرك وأنت بالنسبالها
كنت كوبري ؟

نزلت أم مبروك بعد أن سمعت حديثنا وهي تنزل على
السلم وتقول : هي مين دي اللي بتتكلمي عنها
يا عارفة ؟

-بس ياسيدة بس يا أختي ، صحيح ما يتحنجل
عالطبلية إلا الطبق العوج ، خليكي ساكتة وسامعة
اللي هيقال.

مراتك ياسي وحيد ملهاش ذنب إن سيدة بتحب راجل
متجوز ومش معبرها ، تقوم تعمل أيه ، تبعت رسايل
من تليفون مراتك للراجل ده عشان عمله مشاكل مع
مراته ويفضالها الجو ، بس الظاهر إنك كنت هدية

فوق البيعة لحد ما تفكيرها يتم ، أو زي ما تقول كدة
تصيرة.

وحيد ينظر لأم مبروك بحسرة لأنها استغلته وينظر
لزوجته وهي تبكي وكأنه يطلب منها الرأفة بما
حدث ، ولكن أي حديث يقال بتلك المواقف؟ جميلة
أخذت نفسها وذهبت حينها عاد مبروك من العمل ،
حين سلّم عليها ولم ترد عليه وذهبت ، فأتى إلينا بعد
أن رأى أمه تقف أمام شقتي ، وحيد ذهب وراء
زوجته ليحاول إصلاح ما تم تدميره مسبقاً.
فكل الجراح تلتئم إلا جرح الخيانة تبقى آثار ندوبه
بالجسد والقلب والعين والأذن فكلهم رأوا بعين
الوجع.

حقيقة أوجعني قلبي على كل تلك البيوت التي تكاد أن
تندثر فوق ساكنيها بعد سكونها وركودها بسبب تلك
المرأة ، أصبحنا الآن أنا وسيدة ومبروك ننظر بعض
نظرات مختلفة ، سيدة تنظر إليّ تلك النظرة الشريرة
وهي أني فعلت ضدها كل ذلك ، وأنا أنظر لها بعين
الشفقة على حالها وطبعها وهي تنظر لابنها متمنية
ألا يسأل ما سبب تلك الوقفة ، وهو ينظر لكلينا ليفهم
ما حدث ، فأخذته مسرعةً إلى شقتيها حتى لا أبادر
بالحديث معه ، وهو يصعد معها نظر إليّ وأشار بيده
دون أن تراه وكأنه يخبرني بأن ما حدث من قبل حدث
ثانياً ، فهزرت رقبتني بنعم وأنا عيني تذرف الدموع
لرؤيتي الدموع توشك على الاندفاع من عينه البريئة
، فإن كانت زوجته لطلقها ولكن كيف الهروب من

مصير وسيرة أمه التي يمكن أن تلازمه طيلة حياته
 ، اللهم استرنا يوم العرض عليك ، حقيقة تبدلت
 الموازين بعيني مرة أخرى وكأنها لعبة الشطرنج ؛
 تتبدل الاستراتيجية بناء على مبادرة من أمامي
 بالهجوم ، وكلما يمر الوقت تظهر ورطة جديدة ،
 ولكن ما ظهر أمامي حتى الآن بأن سيدة من فعلت
 كل هذا.

وجميلة كانت امرأة محترمة ولا غبار عليها ، ولكن
 هل هناك امرأة أخرى بحياة أيمن غيرها وغير
 زوجته وبما أنه لا ينظر لأم مبروك فكيف رجل بتلك
 الاخلاق أن يخون زوجته؟

كما تعلمت بحياتي ، أقصرر طريق للراحة هي
 الصراحة..

ليس أمامي سوى أن أواجه أيمن ، ولكن لن أشرب
 من نفس الكأس وعليّ أن أتعلم ، فقد اتصلت بماجدة
 وأخبرتها كل شيء وعلى أن اتكلم مع أيمن في
 وجود محمود ابنه وبالفعل رتبنا ذلك عن طريق
 محمود باتصال هاتفي لوالده وتأكد بأنه بالمنزل
 فوقفنا نطرق الباب أنا ومحمود على والده ، الذي
 خرج علينا مهلهل الحال رث الثياب ، طويل اللحية
 قليلاً ، مؤرق الأعين ويبدو عليه التعب.

أيمن : فيه أيه ؟

محمود : خالتي أم خالد عايزة تتكلم معاك يابابا وأنا
 جيت أقعد معاكم.

نظر إليّ أيمن نظرة المظلوم وسمح لنا بأن ندخل
وقد سبقنا هو ليهدم ملابسه، بعد لحظات قد أتى
وبدا الحديث هو قبل أن نتكلم بأي شيء..

أيمن : بصي يا سيدة ، قبل أي حاجة ، مش كل اللي
تسمعيه تصدقيه وأنتِ ظلمتيني ، بس أنا مسامحك
وأنا برضو ظلمتك وعازيك تسامحيني ، لما إيمان
بنتي حكيّلي من ورا مامتها اللي أنتِ عملتيه
وعملته سيدة عرفت قد أيه أنا ظلمتك.

-طب أنت ليه يا أبو محمود مدافعتش عن نفسك؟

أيمن : مش هكذب عليك يا عارفة ، أنا خوفت
لأضعف ، أنا مش سيدنا يوسف ، كل الحكاية إن كل
حاجة اتدبرت من سيدة وكله حصل مرة واحدة
وموضوع الرسائل اللي معرفش مين كان يبيعتها ،

والروايح اللي ماجدة شميتها لما كنت بطلع عشان
أصلح التردد فمرة من المرات سيدة رشت عليّ
حاجة كدة تقريبا هي دي ، حاولت أقول لماجدة إن
كل ده مليش ذنب فيه ومصدققتيش ، ساعتها صعب
عليّ نفسي بعد عشرة خمسة وعشرين سنة يتشك
فيّ؟

هو أنا عمري أعمل كدة يا عارفة ، ما أنت طول
عمر ك بتدخلي عندنا ، عمري بصيتك بصة
معجبتكيش ؟ ده أنا حتى مبسلمش عليك بإيدي .
أنا كبرت يا عارفة وأديني عايش لوحدي بقالي كام
يوم وعمري ما فيوم كنت أتخيل ماجدة تشك إني
أعمل كدة وكمان تسيبني ، الله يسامحها أم مبروك
هي السبب في ده كله ، هي هددتني أصلاً لو

مطاوعتهاش هتخريلي بيتي بالنص ، محدش كان
شاهد على الكلام غير ربنا وكفى به منصف للظلمات
، وهيجيلها يوم ، وكل ده بدأ لما دخلت عندنا قولت
دخلتها دي مش مريحاني.

أنا مش عارف أعمل أيه ، وأصلح كل ده ازاي ،
أتمنى ماجدة تسامحني على حاجة أنا معملتهاش ،
بس حتى تقعد معايا ومتكلمنيش ، بس متسبنيش ،
حياتي من غيرها مش حياة ، دي عشرة عمري
يا عارفة وأنت ست العارفين.

-مصدقك يا أبو محمود ، والله مصدقك وأنا عارفة
إن سيدة سبب كل ده ، كيد الستات يا أخويا مين
يقدر عليه ، خراب البيوت سهل يا أيمن يا أخويا ،
العمار هو اللي صعب ويحتاج صدق وأمانة عدم

تخوين وناس حوالكم يحبوكم وميكرهوش الخير
ليكم.

قوم ألبس كدة وروق حالك وروح صالح ماجدة وإن
شاء الله هتصدقك ، وهنعتبر اللي حصل ده إختبار
من ربنا عشان تعرفوا غلاوتكم عند بعض.

وكان الدموع انحبست بعينه من الفرحة بعد أن كادت
تفر من تلك العيون دموع حب العشرة التي أوشكت
على الانتهاء.

تركتهم وذهبت ، ليرتب حاله ويذهب هو وابنه.
في أثناء خروجي وأنا على الباب رأيت سيدة وابنها
مبروك وكأتهما مسافرين وكان يحمل شنطة كبيرة
وتتبعه أمه باكية وأتوقع أنها مسافرة لأخيها كما كان
سيفعل بها من قبل ، لن احزن عليك هذه المرة ،

فوالله دموعي أغلى من أمثالك ، تنظر إليّ وهي تبكي
 ، ولكن لماذا تنظرين إليّ؟ أنتِ من فعلتِ هذا بنفسك،
 فمقولة قرأتها من قبل تقول ظاهر العتاب خير من
 باطن الكذب ، وأنتِ أخذتي الأولى مرة والأخرى ولا
 تستحقينها والثانية ملأتكِ شرًا، فقد استحققتي كل
 هذا وأتوقع مصيرك للأسوء.

أعتقد أنني أصلحت ما أفسده الآخرون على قدر ما
 استطعت وتعلمت ألا أتدخل بما لا يعني ، واطمنى
 الثبات والشفاء من هذا المرض ، ومن ناحية أخرى
 حين كنت أتكلم مع أيمن قد اتصلت سرًا بماجدة
 وأسمعتها حديثنا كما اتفقت معها من قبل دون أن
 يعلم أيمن ولا محمود وأعتقد من العدل أن تسمع حب

زوجها لها وأمانته بأذنها خير من أن يُحكي لها ذلك
، فتصدقه .

بعد أرهاق هذه الفترة دخلت شقتي أستريح من كل
هذه المواضيع الشاقة وأنهيت يومي بمكالمة من
ابنتي تخبرني بأن زوجها قد انصلح حاله وصار
يعاملها جيدًا منذ فترة ، وأيضًا اتصل بي ابني مرتين
يطمئن على حالي وهذا ما لم يفعله مؤخرًا وكأن الله
يكافئني على طيبة قلبي ومجهودي ويبدو أن نهاية
الخير لا بد أن تنتهي بخير ، فأفعل الخير ستؤجر
عليه فلا شر من خير ، النبتة الحسنة تنبت ثمارًا
طيبة المذاق ولا يعكر طعمها سوى الشرور.

دخلت سريري لأستريح وأتمنى أن أغط بنوم عميق
ولا أفكر ، بعد أن شغل بالي موضوع جميلة وزوجها

، ولكن سرعان ما طردت الفكرة من عقلي ولا دخل لي بأي مشكلة أخرى من هذا القبيل.

بالفعل ذهبت في هذا السبات ويبدو أنني نمت كثيرًا ، حتى استيقظت على صوت المنبة ليخبرني بتمام السابعة صباحًا ، استيقظت صليت فرضي وأعددت فطوري وسمعت هذا الصوت القادم من شقة جارتي أم محمود ، نعم هو اليوم موعد إعلان نتيجة الثانوية العامة وها نحن ننتظر نتيجة إيمان ، ولكن أتوقع نتيجة مبهرة فهي دائمًا متفوقة ، فالتفتحت خماري وقررت الذهاب إلى هناك ، وأحسست بأن هذا المشهد بتلك الأحداث قد رأيته من قبل ودارت بذاكرتي ذكريات كثيرة منها هجر وخيانة ومصائب لم تأتي فرادى ، ورأيت ذلك الشريط الذي مر بلحظات

أمامي وتذكرت ذلك الحلم الطويل ، وقررت أن لا
أذهب إليهم وإن أرادوا إخباري فسيفعلوا أكيد من
تلقاء أنفسهم.

بعد ساعة تقريبًا وجدت هاتفي يرن فوجدت على
الشاشة اسم سيدة ، لا أعلم لماذا انقبض قلبي حين
رأيته ، فإن كنت أحلم كل ذلك فما ذنبها؟ رددت
عليها، وجدتها تسألني ما سر تلك الأصوات
فوجدتني من تلقاء نفسي أجيبها بهذا ليس من شأننا

.

حقيقة استغربت هي من ردي عليها ، فلم ترني كذلك
من قبل ، واستغربت أكثر وسألتني لماذا أعاملها
بهذا الجفاء ؟ فلم استطع الإجابة عليها.

لا أعلم ولكني امرأة متقلبة المزاج ، إن لم تفعل معي
شيئاً خاطئاً ووجدتني أعاملك معاملة غريبة أعلم
أنني أفتعلت معك شجاراً بخيالي وقد عاملتك أسوء
معاملة حتى لو لم تفعل شيئاً.

بعد أن أغلقت سيدة الهاتف معي ، ومازالت تلك
الأصوات المهللة تضوي بأذني غلبنى فضولي
وخرجت إليهم لأعرف التفاصيل ، حتى لأستكشف
هل الحلويات التي سأكلها معهم الآن تشبه التي
أكلتها بالحلم أم كانت أحلى.

تمنيت لو أعود للنوم مرة أخرى ، فهناك لوحات لم
تكتمل خطوطها بعد؛ فلم أعرف كيف كانت جميلة
تمسك الهاتف ولم ترى تلك الرسائل التي أرسلت من
هاتفها؟ كيف قالت ماجدة لأيمن بأنه كان يسهر كثيراً

وظهر بريئاً فأين ولماذا كان يسهر؟ ماذا حدث
 لسيدة؟ ماذا حدث لجميلة وزوجها؟ أتمنى لو يظل
 زوجة ابنتي يعاملها جيداً كما رأيتهما بالحلم.
 ولكن لا يهم؛ فدائماً ما نرى أحلاماً غريبة وغالباً ما
 تكون ناقصة، فهل لو عدت للنوم سأعود لنفس
 الحلم؟ بالتأكيد لا، ليس هناك فائدة أنا أعلم؛ فأنا
 مازلت عارفة ولا بد أن أظل عارفة بكل ما يحدث
 حولي.

تمت بحمد الله تعالى